ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1046 - الجمعة 17 شوال 1424 هـ - الموافق 12 دجنبر 2003

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

نعمة الإيمان

وحدة اليوم وقياس ضبط الوقت بالمزولة الشمسية

الموضوعة الدينية في الخطاب الشعري..

فضل الصدقة والإنفاق في سبيل الله

لايلج النار رجل بكى من خشية الله

القدوة الحسنة

الحب في الله هو كمال الإيمان

إن ما نشاهده الآن من تجاذب تيارات المصالح الوقتية هو أفتك داء ينخر جسم الإنسانية، وإذا لم تتدارك ما تواجه به هذا الوباء النفساني الذي يقويه حب الذات والبحث عن الهيمنة على الآخر فسيرمى بالقيم الإنسانية والأخلاقية إلى واحات التفسخ والميوعة التي تعبث بالإنسان وتبعده عن الفضيلة والأخلاق الحميدة، وأفضل علاج يواجه به عنف هاته التيارات التي أبعدت الإنسان عن تربيته الصالحة وأشغلته عن بناء ذاته ومجتمعه... وصيرته ألعوبة في يد قوى عدم الإيمان والأخلاق تعبث به وتصوغه الصياغة التي تخدم أغراضها. إن أفضل علاج لهذا الوضع الذي تعاني منه الإنسانية هو أن نرجع إلى الحب في الله لا لغيره ونزرع في نفوس البشرية ما يحيي روح الود والحنان والعطف بين كل فصائل المجتمع، كما نرسخ فيها الحب في الله وعلى الله لا لغيره ليتم إيماننا. فعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل إيمانه)..

> **آن الأوان أن ننشر محبتنا في الله، فما تعاني منه البشرية من تشرذم وتفكك في التوجهات، وتناقض في المواقف، وتخالف في الرأي هو عدم الرجوع إلى ما يخدم مصلحة خلق الله حقا**

فلقد آن الأوان أن ننشر محبتنا في الله، فما تعاني منه البشرية من تشرذم وتفكك في التوجهات، وتناقض في المواقف، وتخالف في الرأي هو عدم الرجوع إلى ما يخدم مصلحة خلق الله حقا وصدقا... فلم هذا التقاطع والتنافر؟ قال (ص): (إن الله تعالى يقول: حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي)

وقال (ص): (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) هكذا يوجهنا الدين ويدعونا نبي الرحمة وشفيع الأمة.

فلقد بنيت دعوة الإسلام على الرحمة واللطف بعباد الله وخدمة الصالح العام لأفراد المجتمع وجماعاته.... قال عليه الصلاة والسلام: (المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف).

فديننا يوجهنا ويدعونا إلى التلاحم والتآخي والتزاور ويرغب في ذلك كله ويحث عليه لبناء صرح الحب العميق والتعاون النافع، لأنه بدون التواصل الحقيقي شكلا وجوهرا لا نصل إلى مقام الكمال المنشود دنيا وأخرى، قال عليه الصلاة والسلام: (إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال: المتحابون في الله) هذا ما يدعو له ديننا الحنيفي الإنساني الرباني الرحماني.

إن ما يرشد إليه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم هو التحام الصف في الله حسب ما يدعو له الكتاب والسنة النبوية المطهرة فعلى من لم يفهم التوجه الديني الإسلامي أن يعرف أهدافه النبيلة التي تخدم الدين والدنيا وترشد الإنسان لما فيه صلاحه حالا ومآلا كما تدعو البشر بصفة عامة إلى أن يتعاونوا ويشملهم التكافل الاجتماعي في شتى الميادين بمثالية نادرة وأخوة صافية، فما نراه اليوم في كثير من ساكنة الكرة الأرضية من التفرقة بين أهل البلد الواحد والوطن الواحد لا يقره دين ولا تقبله شريعة، ولا يرتاح له ضمير، فالرجاء من عباد الله أن يرجع من زاغ منهم وظل عن الطريق المستقيم إلى السبيل السوي الإنساني الرحيم، لنعيش جميعا في هدوء واطمئنان لا تستفزنا أطماع تنفي القيم ولا ترعى العدل والمشروعية.

وإن ما نسمعه من حين لآخر من تواصل بين الإنسانية لرأب الصدع وجمع الشمل الذي يقوم به دعاة السلم المدافعون عن حقوق الإنسان ليفتح باب الأمل ويبعث على التفاؤل في أن يعم الحب والوئام والتآخي في الله جميع أبناء الإنسانية وما ذلك على الله بعزيز.

كما نرجوه سبحانه أن تكون محبتنا في الله، وأن نتواصل ونتزاور حبا في الله حتى يصدق فينا وعلينا ما قال عليه الصلاة والسلام: (أن رجلا زار أخا له في الله فأرصد الله له ملكا قال أين تريد؟ قال أريد أن أزور أخي فلانا، فقال لحاجة لك عنده؟ قال: لا، قال لقرابة بينك وبينه؟ قال: لا، قال فبنعمة لك عنده؟ قال: لا، قال: فيم؟ قال: حبا في الله، قال: فإن الله أرسلني إليك أخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة) كما في مسلم.

فضيلة الشيخ ماء العينين لارباس

النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل الأسري

في الحلقات الماضية الثلاث وضعنا القارئ في صورة مبنية على تحليل لغوي لكلمة العدل، ومنه انطلقنا إلى مواقع للعدل بحثنا عنها في الأسرة الأولى للإنسان بين أبناء آدم عليه السلام فوجدنا الأخ يقتل شقيقه بدون سبب غير تسجيل حالة تتنافى مع أحكام العدل لتكون المخالفة الثانية تحدث داخل الأسرة الأولى الإنسانية بعد المخالفة السابقة لآدم وهو في الجنة عندما أمره الله عز وجل بالأكل من جميع مافي الجنة إلا ثمار شجرة واحدة فمنعه من الاقتراب منها هو وحواء، لأمر يعلمه الله عز وجل، يسجل الله ذلك في هذه الآية الخامسة والثلاثين من سورة البقرة "وكلا منها رغدا حيث شئتما، ولاتقربا هذه الشجرة ويثبت ذلك في سورة الأعراف في آية أخرى "فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة إلا أن آدم عليه السلام لم يمتثل للنهي الإلاهي وكانت المخالفة الأولى التي تتنافى مع أحكام العدل وتطبيق النظام والأوامر والنواهي التي تصدر من الله عز وجل للإنسان، ولكن ليس لأي إنسان إنما للإنسان الأول الذي خلقه الله كما شاء مما شاء، ولكن لتتكون جميع العناصر التي قدرها الله للبشرية لايدفع الخروج على نمط المخلوقات الأخرى الذين لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايومرون وهم الملائكة فلو التزم الإنسان الأول بالنهي الإلاهي لبقي في الجنة ولما كانت الدنيا بهذا النوع من البشر الذي انحدر من آدم وربما كان سيوجد إنسان آخر يؤمر فيخالف فينزل للدنيا.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

(تابع ص. 2)

تحتوى هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

مواقع النجوم

قال تعالى: " فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم"

الحلقة الثانية

■ إعداد الأستاذ: مراد الخروبي

عالم الجاذبية

■ بعد أن خلق الله تعالى النجوم والكواكب وسائر الأجرام الأخرى وضعها سبحانه في مدارات خاصة بها على أقدار معينة ، ومسافات مضبوطة(وكل شيء عنده بمقدار)، ومنذ ذلك العهد السحيق وهي تسبح في الفضاء إلى يومنا هذا وإلى ماشاء الله (وكل في فلك يسبحون).

وعليه فلا يمكن أن تتصادم أو تسقط على الأرض إذ لو حدث ذلك لوقع الدمار الشامل ، والفناء العارم، فما هو ياترى السر الخفي أو السبب القوي في بقائها سابحة في مداراتها الهندسية التي خططها لها العليم الحكيم في فضاء الكون ؟ الجواب، هو أن الله تعالى يستقل بمعرفة ذلك السر. والذي يذهب إليه علماء الفلك هو الجاذبية هي التي تحول دون سقوطها وبالتالي حدوث الدمار الشامل كما ذكرنا، وهذا لا يعارض الدين ما دام الله تعالى هو الذي خلق تلك الجاذبية وبواسطة تلك الجاذبية التي تلعب دور التماسك المغناطيسي أو الإمساك" حسب تعبير القرآن الكريم تستمر تلك الأجرام سابحة في أفلاكها دون أن تشكل أي خطر محدق بالأرض وساكنتها قال تعالى في محكم الذكر (إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، إنه كان حليما غفورا) سورة فاطر الآية :41. وفي آية أخرى:(ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه).

أهمية الجاذبية:

لمعرفة أهمية الجاذبية نورد ما قاله ذ.م سعد شعبان في كتابه(الطريق إلى المريخ) ص.33 كما يلي : (ولو توقفت قوى الجاذبية بين الأرض والشمس لأفلتت الأرض وغيرها من تبعيتها للشمس ولانطلقت جامحة في الفضاء . وما ينطبق على الأرض يسري أيضا على كل الكواكب الأخرى).

القوى الأربع للنظام الكوني:

هناك أبرع قوى يقوم عليهما النظام الكوني:

1 . قوة الجاذبية(Force Gravité) وهي أضعف القوى الأربع التي يقوم عليها النظام الكوني . وهي القوة التي تحكم الأشياء الكبيرة المرئية . ففي الكون كل شيء يتحرك يجذب ويجذب.."

2 . القوة الكهرطيسية Force électro-magnétique هي صمغ الذرات أو غراؤها وهي القوة التي تمسك الذارات التي تتكون منها العناصر الطبيعية للأشياء . فالقوة الكهرطيسية مثلا هي التي تربط بين ذرتي الهيدروجين وذرة الأكسجين ومنها يتألف الماء، وهي القوة التي تعطي للأشياء شكلها وتعدادها وجمالها ونوعيتها...

3 القوة النووية القوية أو ما يسمى بالفرنسية la force Nécluaire forte هي صمغ جزئيات النواة أي غراؤها وهي القوة التي تمسك بجزئيات النواة في الذرة (Proton, Neutron , quark) .

4 القوة النووية الضعيفة: La force Neclu-aire faible

هي التي تنظم عملية تحويل وتفتيت الجزئيات في الذرة ، وتتحكم في موت المادة التي ليست خالدة، وكل عنصر له أجل والقوة النووية الضعيفة هي التي تنظم ذلك ... (المصدر :" من علم الفلك القرآني :د. عدنان الشريف مع بعض التصرف).

المجموعة الشمسية :

للشمس مجموعة من الكواكب تدور حولها وهي بذلك تعتبر تابعة لها وتسمى " المنظومة الشمسية " وهي الكواكب على التوالي:

عطارد ، الزهرة، الأرض، والمريخ، المشتري، زحل ، أورانس، نبتون، بلوتون.

متوسط بعد الكواكب عن الشمس

عطال	57,90مليون كيلومتر
الزهرة	108.10مليون كيلومتر
الأرض	149,50مليون كيلومتر
المريخ	227,80مليون كيلومتر
المشتري	777,80مليون كيلومتر
زحل	1426,10مليون كيلومتر
أورانس	2869,10مليون كيلومتر
نبتون	4490,70مليون كيلومتر
بلوتون	5899,00مليون كيلومتر

السرعة المتوسطة للدوران

عطارد	47,80 كيلومتر في الثانية
الزهرة	35,00 كيلومتر في الثانية
الأرض	29,76 كيلومتر في الثانية
المريخ	24,00 كيلومتر في الثانية
المشتري	13,00 كيلومتر في الثانية
زحل	9,60 كيلومتر في الثانية
أورانس	8,60 كيلومتر في الثانية
نبتون	5,40 كيلومتر في الثانية
بلوتون	4,70 كيلومتر في الثانية

المصدر : الطريق إلى المريخ تأليف م. سعد شعبان)

يوم الكواكب بالنسبة للأرض

عطار	88يوما
الزهرة	لايمكن قياسه أو قدر بنحو 30 يوما
الأرض	23 ساعة و56 دقيقة
المريخ	24 ساعة و37 دقيقة
المشتري	9ساعات و55 دقيقة
زحل	10 ساعات و14 دقيقة
أورانس	10 ساعات و 48 دقيقة
نبتون	15 ساعات و 48 دقيقة
بلوتون	لم يمكن قياسه للآن.

أعوام كواكب المجموعة الشمسية:

تختلف أعوام كواكب المجموعة الشمسية عن عام الأرض ، فمن المعلوم أن عام الأرض هي الفترة الزمنية التي تقطعها الأرض في دورانها حول الشمس وهي 365 يوما و6 ساعات ويتفاوت عام كل كوكب من كواكب المجموعة الشمسية عن عام غيره ويرجع ذلك بالأساس للفترة الزمنية الت يستغرقها كل كوكب في إتمام دورة كاملة حول الشمس وباستعراض تلك الأعوام بالنسبة لعام الأرض نجدها كما يلي.

الأرض	1,00سنة كاملة
عطار	0,24 بالنسبة لعام الأرض
الزهرة	0,62 بالنسبة لعام الأرض
المريخ	1,88 بالنسبة لعام الأرض
المشتري	11,86 بالنسبة لعام الأرض
زحل	29,46 بالنسبة لعام الأرض
أورانس	84,02 بالنسبة لعام الأرض
نبتون	164,80 بالنسبة لعام الأرض
بلوتون	247,70بالنسبة لعام الأرض

تمييز الكواكب عن النجوم

يحدثنا ذ.م سعد شعبان عن هذه المسألة" من خلال كتابه الطريق إلى المريخ" في ص.29 . 30 فيقول:(تظهر خمسة كواكب في السماء لامعة أثناء الليل. كأنما هي نجوم تشع ضوءا، وما هي إ لا أجسام باردة تنعكس عليها أشعة الشمس، ويبدو كوكب سادس خافت للعين المجردة وهو " أورانس" والكوكبان الأخيران " نبتون "و "بلوتون" تستحيل رؤيتها إلا بالمراقب أي " المنظار الفلكية " المقربة أو التلسكوبات.

ومن خلال عدسات التلسكوبات ، تظهر الكواكب كأقراص مستديرة ذات نهايات مفرطحة قرب طرفيها. بينما تظهر النجوم كنقط صغيرة مضيئة مهما كبرت العدسات وهذا هو أهم ما يميز الكوكب عن النجوم من خلال العدسات لأن أبعاد الكواكب صغيرة للغاية بالنسبة للأرض ، على خلاف أبعاد النجوم، كما أن الضوء الذي نراه على الكواكب ضوء ثابت لا يهتز ولا يتغير بينما ضوء النجوم يظهر متلألئا يزيد أحيانا ويخفت أخرى.

وكوكب " عطارد" يمكن أن نراه أحيانا بالعين المجردة في ضوء الشفق قرب خط الأفق بعد الغروب أو قبل الشروق.

وكوكب " الزهرة" و تظهر لامعة إلى حد يجعلها المع أجرام السماء بعد الشمس والقمر، ويدفع ذلك إلى تسميتها ، مجازا ، باسم" نجم" الصباح والمساء، وهي تلمع أحيانا إلى حد يجعلها تظهر للعين المجردة حتى أثناء النهار نظرا لشدة قربها من الشمس.

والمريخ يتميز بلونه الأحمر أما الكوكب الضخم" المشتري" فيلي " الزهرة في درجة اللمعان .(سعد شعبان : أعماق الكون).

وحدة قياس المسافات:

المسافات الفضائية بين النجوم كبيرة وشاسعة بحيث لا يمكن قياسها بوحدات القياس العادي كالمتر، والكيلومتر التي نستعملها عادة في قياس المسافات الأرضية، ولذلك لجأ علماء الفلك إلى قياس المسافات بين النجوم بالسنة الضوئية.

فمن المعلوم أن سرعة الضوء تصل إلى 300 ألف كيلومتر في الثانية. وبعبارة أخرى فإن سرعته هذه يستطيع أن يدور بها حول الأرض سبع مرات ونصف ذلك أن محيط الأرض يبلغ 40 ألف كيلومتر وبقسمة 300 ألف كيلو متر على 40 ألف نحصل على رقم 7 و1/2 الذي يمثل عدد لفات الضوء للأرض خلال ثانية واحدة ، في حين نجد أن المسافة التي يقطعها الضوء بين الأرض والشمس تصل إلى 8 دقائق أي 300 ألف كيلومتر في الثانية مضروبة في 60 لنحصل على عدد الكيلومترات التي يقطعها الضوء في دقيقة واحدة ثم نضرب ذلك الحاصل في 8 دقائق.. يا لها من مسافة مذهلة! يتحدث: د. كارل ساغان في كتابه الكون الذي ترجمه إلى العربية ذ نافع أيوب لبس، عن السنة الضوئية (ص.22 فيقول » وفي سنة واحدة ، يقطع الضوء نحو عشرة تريليونات (جمع تريليون وهو ألف مليار) كيلومتر ، أو زهاء ستة تريليونات ميل في الفضاء وهكذا فإن وحدة الطول التي قطعها الضوء في سنة واحدة ، تدعى سنة ضوئية، وهي لا تقيس الزمن ، بل المسافات أو بالأحرى المسافات الكبيرة جدا...)

(تتمة ص:1)

■ وتتكون الخليقة البشرية، فالله عز وجل بقدرته رتب جميع الأمور ووضع جميع الأسباب والمسببات وهو يعلم وحده لماذا، وليكون الدرس الأول للإنسان أنه عند المخالفة لابد من الجزاء ولابد لأحكام العدل أن تتحرك حتى يتم الانضباط الكامل، ونجد في المخالفة الأولى مايتبث العدل الإلاهي، يقول الله عز وجل في القرآن "فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربها ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكلما أن الشيطان لكما عدو مبين" وما كان لآدم وحواء إلا الاعتراف بالخروج على النظام وعلى النواهي الإلاهين "قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين" فكانت بداية الحياة الأرضية، والله عز وجل قدر لها هذا المشهد، لتحدد الوقائع وتثبت المخالفة وتتكون علة الحكم والسبب الذي أعطى النتيجة وهي انطلاق الحياة الإنسانية وتعايشها مع الأوامر بفعلها، والثواب عليها، والنواهي بتركها والجزاء عليها عند المخالفة إلا إذا جاءت التوبة والمغفرة من الله تعالى:"ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى" كما يقول القرآن في ملف سيدنا آدام عليه السلام.

وقد وقفنا قليلا مع هذه الواقعة والمخالفة الأولى لتكون عبرة لنا جميعا في حياتنا الخاصة والعامة، ولتكون درسا في احترام النظام والمحافظة على القانون والالتزام بالأوامر والنواهي الشرعية مهما كانت الظروف، وعدم فتح النوافذ لدخول الرغبات الشيطانية إلى فكر الانسان.

فالتربية على العدل واحترام النظام يجب أن تكون من الثوابث التي تلقى للطفل والتلميذ والطالب وهي وحدها التي تركز أصول العدل والعدالة في الحياة.

ومن المواقع التي نراها في المشاهد الأولى للعدالة تطبيقها على مستوى الأسرة.

أعمدة الأسرة هي الأب والأم والأباء والأبناء، وإشاعة ثقافة العدل داخل البيت من شأنها أن تعطي نتائج إيجابية على الحياة بجميع صورها ومراحلها وتؤدى إلى تنمية الجوانب الأخلاقية التي يعمل ديننا الحنيف على غرسها في فكر الإنسان وعقله، وتترجم إلى أفعاله وأقواله وتصرفاته وتوجيهاته.

والعدل على مستوى الأسرة ينطلق من التعامل مع الزوجة، وأم الأولاد، وكلما ارتفع مستوى الأسرة تعليما وتربية كانت المساحة واسعة للعدل في الأسرة، وكانت النتائج إيجابية بنسبة مقبولة ومطلوبة، وفي الحلقة المقبلة نفتح ملف العدل مع الزوجة أو الزوجات ومع الأولاد والأباء والأقارب إن شاء الله.

الوثاق

دلالة كلام الله تعالى على الواجب والمستحيل والجائز أزلا

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

السادات الأبية المستجد بمفاتيح آرائهم في ليالي الشكوك المدلهمة.
جوابكم عن دلالة كلام الله تعالى على الواجب والمستحيل والجائز أزلا، إن كانت فعلا فما معناها؟ لأنها إن فسرت بالفهم فمن الفاهم إن كان غير الله، فلا غير إذ ذاك؟ وإن كان الموصوف به تبارك وتعالى استحال ذلك للإيهام، وإن فسرت بالعلم، لزم اتحاد الكلام به، وإن كات على معنى الصلاحية لزم نفي الكلام أزلا، لأن الصالح لأن يتكلم غير متكلم ولا يرد أن القادر على أن يفعل غير قادر للعرف الظاهر.
وايضا دلالة القرآن على المعنى الأزلي القائم بالذات العلية ما هي من أنواع الدلالات الثلاث؟ ولأنا لا نفهم المدلول من مفرداته ولا من جمله ولا من المجموع فوضعها له، ولا أنه جزءها ولا لازمها على ما في الأخير، واعتبارا أنه مدلول شرعا حقيقة إطلاقا للدال على المدلول مجازا في الأصل غير مجد للجواب، لأن البحث في أصل الدلالة، ولا يقال أن الدلالة عقلية لوجوب تلازم اللفظ والمعنى المدلول به عليه قياسا للغائب على الشاهد لما علم في ذلك القياس وضعف اعتباره، ولما نشاهد من كلام النائم والسكران وذي الهذيان، وإنه لأسبقية له في الأذهان ولا شعور به بالكلية، ومما يحتمل أن يقال أن القرآن مساو للمعنى القائم بالذات فيما دل كل واحد منها عليه، وأنه مفسر به، أو أن الكلام ملازم لما دل عليه به، لأن المقال لنبيه غير معنى قائم بنفس القائل.
وفي الكل مجال للبحث جوابا شافيا مع إطالة النفس وبسط الكلام والسلام.

لجماعة من العلماء

جواب العلامة الفقيه أبو عثمان سعيد العميري:

ثم كتب الفقيه أبو عثمان سعيد العميري كان الله له عقبه ما نصه:

■■■

الحمد لله لا إله غيره، ولا حول ولا قوة إلا به، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

محصل الجواب أن دلالة كلامه تعالى على معلوماته بالنسبة إليه وإلى غيره فقط حقيقة ولا يلزم ما أورد في السؤال من لزوم اتحاد الكلام والعلم على فرض كونها بالنسبة إلى الغير سواء فسرت بالفصل أو بالحيثية، وأن دلالة القراءات على كلامه النفسي بالإلتزام.

أما الأول فلأن المفسر بالإنكشاف للإطلاقة دون الفهم هو دلالة الكلام لا الكلام، بخلاف العلم يعني فإن الإنكشاف وصفه النفسي فاجترى.

وأما الثاني فبتنزيل المعدوم منزلة الموجود، كما في تسميته خطابا في الأول على القول به الذي هو الحق يكون حقيقة فلم يلزم عدمه في الأزل.

وأما الثالث فيقاس الغائب على الشاهد وهو صحيح، إذ وجد الجامع ولاشك في الملازمة في الشاهد عند السلامة من المانع للدلالة كالنوم ونحوه.

■■■

والجواب عن الأول أن اللازم مما ذكر، وإن كان كلا من العلم والكلام صفة انكشاف إلا أنه في الكلام انكشاف دلالة ولاشك أن الصفة جنس لهما، والإنكشاف فصل أو خاصة، وذلك موجب لاتحادهما مفهوما على أن التحقيق أن الكلام أخص لأنه صفة انكشاف في الدلالة، والعلم صفة انكشاف مطلق.

وعليه بالإتحاد في السؤال فيه بعض تجوز، ومن المعلوم الإستغناء بالعام عن الخاص به بطريق الحقيقة، وهذا منشأ الجواب، إلا الإيراد القوي عليه، لا يقال للمباينة حاصلة بمعنى أن كل منها ليس عين الآخر، كما في السمع والبصر مع العلم، لأنا نقول هذا البيان غير بين فوجب نبذه ولو سلم لزم تحصيل الحاصل.

■■■

والجواب بأن صفة الكلام سمعت من الشارع فوجب إثباتها وإبقاءها على ظاهرها، ولا استحالة في تعدد طريق العلم إنما ذلك في الأفعال الموثرة غير مخلص لأنه خطابه طلبه أصلها قياس الغائب على الشاهد، وهو وإن سلم من المانع ظني، وعن الثاني إنا نمنع كون الدلالة في الأزل حقيقة لصراحة التنزيل في مجازيتها وهو الحق، فلا كلام إذا في الأزل ضرورة عدم الشيء وحقيقته لعدم وصف النفسي أو اللازم مساويا أو أعم، ثم في الاحتجاج بتسمية الكلام في الأزل خطابا مالا، لأنا إن أثبتنا له الدلالة في الأزل، ولم نسمه خطابا لم يلزم عليه محذور لعدم تأثير نفي الخطابية في عدمه والله الموفق.

■■■

وعن الثالث أن قياس الغائب عن الشاهد إنما يصح بشرطه أصوليا ظنيا لا منطقيا عضليا، سلمنا ذلك، لكن لا نسلم أنه لا دلالة في كلام النائم به، ونحوه إذ لم يشترطوا في الدلالة قصدا، كما لم يشترطوا سبقيا بالجهل والإبهام كما في الطبيعية وعدم تسمية كلام النائم ونحوه كلاما لا يقدح في دلالته، لأنه محض اصطلاح للنحاة صناعي والله الموفق، وقد أغنى هذا عن تتبع فصول الجواب اللائح منها كثير من الخفاء للقاصر مثلنا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

جواب العلامة العربي أحمد بردلة

الحمد لله،

السؤال أعلاه تضمن بحثين أحدهما أن دلالة كلام الله تعالى على الواجب لخ هل هي بالفعل أو الصلاحية، وإبطال كل منهما، البحث الثاني أن دلالة القرآن العظيم على المعنى الأزلي ماهي من أنواع الدلالات، وإبطال كل منها أيضا، وينحل أمر البحثين ببيان شبهة المبحوث عنها في المبادي بتعلق الكلام المبحوث عنه في مباحث صفة الكلام الأزلي، وإذا وقع التنبيه لذلك ارتفع الإشكال من أصله، وذلك أنهم عرفوا الدلالة، بحالة الدال بسببها ينتقل الذهن منه إلى المدلول، وأما تفسيرها بالفهم فهو كلام ظاهري مبني على التسامح حقق ذلك السيد في كلامه الطويل، فليراجع من أراد الوقوف على ذلك التحقيق.

■■■

وأما تفسيرها بالعلم فلا أذكر من فسرها به، فإن أريد به الفهم فيجري به ما ذكر، لكن لا تحسن مقابلته به، وأما التعلق فقال ابن عرفة إنه أمر لازم للصفة الوجودية لا تقرر لها دونه، قال وأقرب تصريف له أنه اقتضاء الصفة لذاته منسوبا لها لا يفيد مقارنة وجودها لوجوده اهـ.

■■■

فالكلام اللفظي الذي بحثوا في دلالته وأنواعها ولم يبحثوا له عن تعلق، والكلام الأزلي أثبتوا له التعلق وبحثوا عن دلالته وسكتوا عن إثبات هذه الدلالة أعني المبحوث عنها في المبادئ، والسائل مقتضى كلامه تسليم إثباتها له بدليل أن البحث عنده إنما هو في تفسيرها مع كونه الفهم أو غيره، فيحتاج إلى بيان أنها من أي قسم هي أي هل هي لفظية أو غيرها، هل هي وضعية أو عقلية مثلا، ولما أثبت ما لم يثبتوه جعله مكان التعلق الذي أثبتوه، جاء التخبط وعسر عليه التقصي، فإن اعترف السائل بالاشتباه استوحد وارتفع البحث من أصله، ثم إن كانت له مباحث في التعلق فليقررها ليتكلم عليها، وإن ادعى اتحاد الدلالة والتعلق فعليه البيان، وبيان الوجه الذي من أجله جعلوها مبحثين.

وأما المبحث الثاني وهو اشتباه الدلالة بالنسبة وذلك أن مراده كما ينبني عنه آخر كلامه ما نسبة القرآن الذي هو اللفظ المتلو من المعنى الأزلي القائم بذاته تعالى، فلذلك ردده أخيرا بين المساوات واللزوم وغيرهما، فتبين بذلك مراده.

■■■

ما نسبة دلالة القرآن من المعنى الأزلي فجعل مكانه على سبيل الإشتباه أو على سبيل الترويج للبحث دلالة القرآن على المعنى الأزلي ماهي من أنواع الدلالات، وإلا فقوله تعالى وبكلامي، من قوله تعالى: "اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي دال على الصفة الأزلية.

فإن سلم السائل ما ذكرنا، ولا يسعه غير ذلك إن تأمل وانصف، بقي الكلام في النسبة، وهي تفهم من تفسير الإمام في الإرشاد للكلام الأزلي، بأنه القول القائم بالنفس الذي يدل عليه بالعبارات، وما يصطلح عليه من الإشارات اهـ.

وأما المساوات فهما لا ينبغي إطلاقها أولا لأسهامها المغايرة الحقيقية وكذا اللزوم والله أعلم.

وكتب العربي بن أحمد بردلة كان الله له.

وكتب تحته الفقيه أبو عثمان سعيد العميري ما نصه:

أما البحث الأول فمنشأه اشتباه الدلالة المبحوث عنها في المبادئ بتعلق الكلام المبحوث عنه في مباحث صفة الكلام الأزلي، وإذا وقع الشبيه لذلك ارتفع الإشكال من أصله.

أقول جعله منشأ البحث اشتباه، وتسميته لها دعوى خالية من الدليل، ومنع دون سند وما زعمه دليلا وسندا، وقوله وذلك إلى قول المبحوث عنها في المبادئ باطلا، وبيانه أن تعلق الصفات جنس تحت أنواع هي تعلق الكلام، وهو تعلق دلالة وتعلق القدرة، وهو تعلق تأثير، وتعلق الإرادة، وهو تعلق تخصيص، فجهة التعلق هي الفصل لأنواع جنس التعلق، ولا يكفي في تمييز بعضها من بعض، إضافة التعلق إلى المتعلق على ما لا يخفى.

■■■

ومعنى تعلق دلالة أنه أي الكلام دل على معلوماته، وحينئذ إن قرنا الدلالة بالحيثية على ما ذكر المجيب واختاره اعتبرت الدلالة بالنسبة إلى غيره تعالى من الخلق، واقتضى ذلك عدمها بالنسبة إليه تعالى أزلا، وإلى غيره حيث لا سامع وحَ فيلزم أن يكون سمعه تعالى وبصره في الأزل غير متعلقين بكلامه، وكلامه يعتريه السكون في الأزل حيث لا سامع.

■■■

وإن خصص وقال الحيثية هي بالنسبة إلى غيره تعالى قلنا هذا لا دليل عليه من كلامه، سلمنا ذلك، لكن لا تقول السؤال يرجع من حيث جاء، لأن السائل يقول ما معنى دلالة كلامه تعالى على معلوماته بالنسبة إليه إن كان على معنى انكشافها وهي العلم، فقد الحد أو إن كان على معنى غيرها، فما هو على أن التحقيق أن اللازم إنما هو كون الكلام نوعا من العلم، لأن العلم صفة انكشاف مطلقا، والكلام صفة انكشاف في الدلالة، ومنشأ الإشتباه في دعوى الاتحاد اعتبار المعلومات مما ذكره من تعريف التعلق عن ابن عرفة غير مجد، لأن الكلام فيه فيما هو أخص، مما فسر به، وإثبات البحثين عند أهل المبادئ والمتكلمين، واقتضاء ذلك المباينة، وإن من ادعى الإتحاد فعليه بالبيان، هو كله كلام حاصل له، وهو من هذيان الجمود، وماله عليه لو طلب بتفسير التعلق الذي هو الإقتضاء ونحوه لم كان يفسره، وأي معنى له متحصل بفهم، ويتم به تصور الصفة المعتقدة، فإن الحكم على الشيء فرع تصوره، وقد جهل تفسيره بما ذكرنا المذكور في صغار الكتب الكلامية فضلا عن كبارها.

■■■

وأغرب في إبهام المبادئ وهي إنما تذكر في المنطق أو فيما للمنطق مساس به كالأصول والبيان والكلام.

■■■

قال وأما البحث الثاني فمنشأه اشتباه الدلالة بالنسبة، هذا والعياذ بالله غلط فاحش، أو سهو عن لب مختبل طائش، واستدلاله على ذلك بترديد السائل في آخر استدلال بفاسد على فاسد، فإن السائل ما ردد أخيرا بل إنما ذكر المساوات أخيرا فرضا وتقدير الجواب يرشد إليه من قبل الغير، ولوح إلى بقاء الإشكال في الجملة بقوله، وفي الكل مجال للبحث وتفعيله أنه إذا ثبتت المساوات فرضا بين القرآن والكلام النفسي حسبما قال بعض المحققين ادعى أنه لا دلالة لأحد المتساويين على الآخر بنوع من أنواع الدلالات الثلاث على التحقيق، ووجودها بين المتساويين بمعنى الالتزام، بل التحقيق أن دلالة القرآن أخص من دلالة الكلام لأن بدله بعض مدلوله والأخص يستلزم الأعم وهذا هو الجواب الحق عن السؤال والعجب منه مع عارضة دعواه، كيف جهل هذا المبحث من السؤال، وهو مطروق مذكور في علم الكلام، وإنما السائل يبحث في تصوره وتحققه وهو يرمي به في الإحتمالات الواهية الناشئة عن سوء الفهم، وهلا فهم السؤال كما فهمه غيره، وجعل يجيب.

■■■

وأغرب من هذا كله استدلاله على ثبوت كلامه تعالى بقوله برسالتي وبكلامي، فإنه انبأ عن غاية النبو عن الفهم المورط في الدعوى، فإن الدلالة غير الإستدلال، إذ لا كلام في ثبوت كلامه تعالى، ولا نزاع ولا بحث وإنما المطلوب من السؤال دلالة القرآن عليه بطريقة الوضع مباشرة أو بواسطة تضمنا أو التزاما، وما ذكره آخرا عن الإرشاد كلام مستدرك، ثم لو سلم جميع ما أجاب به حاصله إبطال دليل السؤال، ومن المعلوم أن الدليل لا يلزم طرده، بل عكسه ولاشك أن السؤال وارد دون اشتباه وفيه نظرا هـ.

يتبع...../....

في ظلال الحديث

الحديث السابع والثمانون: فضل البكاء من خشية الله

الحديث

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لايلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع... " أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

أخرجه الترمذي في سننه، في الزهد، باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله، ج4/ص172/ح1633، وفي فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، ج4/ص555/ح2311، وأخرجه النسائي في سننه، في كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، ج6/ص12/ح3107، وابن حبان في صحيحه ج8/ص44/ح3251، ج10/ص467/ح4606، ج10/ص467/ح4607. وابن ماجه في سننه ج2/ص927/ح2774. وابن حنبل في مسنده، في باقي مسند المكثرين، ج2 ص256/ح7474، والحاكم في مستدركه ج2/ص82/ح2395، والطيالسي في مسنده ج1/ص321/ح2443ج1/ص321/ح2443. وغيرهم.

درجة الحديث

هذا الحديث أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح، وصححه الحاكم وقال صحيح الإسناد، وصححه الألباني.

سند الحديث

هذا الحديث أخرجه الترمذي في سننه فقال: حدثنا هناد حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن محمد بن عبد الرحمن عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا هناد: هو أبو السري، هناد ابن السري بن مصعب التميمي الدارمي الكوفي، من كبار تبع الأتباع، سئل أحمد بن حنبل عن من يكتب بالكوفة فقال عليكم بهناد، وقال أبو حاتم صدوق وقال قتيبة بن سعيد: مارأيت وكيعا يعظم أحدا تعظيمه لهناد وقال النسائي ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. ومات يوم الأربعاء آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة 243.

حدثنا ابن المبارك: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي المروزي أحد الأئمة الأعلام، كان فقيها عالما عابدا زاهدا شيخا شجاعا شاعرا. قال ابن مهدي ما رأت عيناي مثل اربعة: مارأيت أحفظ للحديث من الثوري ولاأشد تفتشا من شعبة ولا أعقل من مالك ولاأنصح للأمة من ابن المبارك وقال أحمد لم يكن في زمانه أطلب للعلم منه جمع أمرا عظيما ما كان أحد أقل سقطا منه كان رجلا صاحب حديث حافظا وكان يحدث من كتاب وقال شعبة ماقدم علينا مثله وقال ابن عيينة نظرت في أمر الصحابة فما رأيت لهم فضلا على ابن المبارك إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزوهم معه وقال الفضيل بن عياض أما انه لم يخلف بعده مثله وقال الحاكم هو إمام عصره في الآفاق وأولاهم بذلك علما وزهدا وشجاعة وسخاء، توفي رحمه الله سنة 181.

عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الهذلي كوفي. قال ابن عيينة قال مسعر ما أعلم أحدا أعلم بعلم ابن مسعود من المسعودي وقال شعبة هو صدوق، وقال أحمد بن حنبل ثقة، وكان ابن نمير يقول المسعودي كان ثقة فلما كان بآخره اختلط وعن يحيى بن معين قال المسعودي صالح، توفي سنة160.

عن محمد بن عبد الرحمن: هو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد القرشي التيمي الكوفي ثقة من السادسة، قال يحيى بن معين ثقة، وقال أبو زرعة وأبو حاتم وأبو داود صالح الحديث وقال النسائي ليس به بأس وذكره ابن حبان في كتاب الثقات.

عن عيسى بن طلحة: هو أبو محمد عيسى بن طلحة بن عبيد الله أبو محمد التيمي القرشي المدني ذكره محمد بن سعد في الطبقة الأولى من أهل المدينة وقال كان ثقة كثير الحديث وكان من أفاضل أهل المدينة وعقلائهم، قال يحيى بن معين والنسائي والعجلي ثقة، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة 100، وروى له الجماعة.

عن أبي هريرة: أبو هريرة الدوسي اليماني الحافظ الفقيه صاحب رسول الله (ﷺ) عبد الرحمن بن صخر على الأشهر كان اسمه في الجاهلية عبد شمس. قدم أبو هريرة مهاجرا ليالي فتح خيبر حفظ عن النبي (ﷺ) الكثير وكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع قال البخاري روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر، وكان من أصحاب الصفة فقيرا ذاق جوعا وفاقة ثم بعد النبي (ﷺ) صلح حاله وكثر ماله وكان كثير التعبد والذكر ولي إمرة المدينة، توفي سنة 58 رضي الله تعالى عنه، قاله جماعة.

أهمية الحديث:

حديث غاية في الأهمية، يبين لنا مدى فضل البكاء من خشية الله تعالى، وانها درجة لايبلغها إلامن تشبع قلبه بالإيمان واطمأن له، وفي نفس الآن يفضح الحالة المزرية التي وصل إليها غالب المسلمين، وانه أصبح من الضروري الفوري تدارك الأمر قبل فوات الأوان.

مفردات الحديث

"لايلج":من الولوج أي لا يدخل.

"رجل بكى من خشية الله":الغالب من الخشية امتثال الطاعة واجتناب المعصية.

"حتى يعود اللبن في الضرع":هذا من باب التعليق بالمحال كقوله تعالى (حتى يلج الجمل في سم الخياط) الاعراف40.

المعنى العام

1. أهل الإيمان، أخشى الناس لله تعالى

أهل الإيمان هم أهل الله وخاصته الذين ماتركوا لله طاعة إلا شمروا عن ساعد الجد لأدائها وما علموا بشيء فيه رضا لله إلا فعلوه، وماعلموا بشيء فيه سخط الله إلا اجتنبوه، راغبين راهبين فأورثهم الله نور الإيمان في قلوبهم فصارت قلوبهم لينة، مطمئنة بذكره تعالى وقادت جوارحهم للخشوع، فما تكاد تخلو بالله إلا فاضت أعينهم من الدمع من كمال خشيته وكانت تلك الدموع أكبر حائل يحول بين صاحبها وبين النار، لأنه إذا زاد الإيمان في قلب المؤمن لم يعد يستحضر في قلبه إلا الخوف من الله.

وبما أن الناس في خوفهم من الله متفاوتون، كان خوف العلماء في أعلى الدرجات وذلك لأن خوفهم مقرون بمعرفة الله مما جعل خوفهم مقرونا بالخشية كما قال تعالى: (كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء) والخشية درجة أعلى وهي أخص من الخوف، فالخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين وعلى قدر العلم والمعرفة تكون الخشية، كما قال النبي (ﷺ): "إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية"وقال" "لو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله".

2. ثناء الله تعالى على البكائين من خشيته سبحانه

ولقد أثنى الله في كتابه الكريم في أكثر من موضع على البكائين من خشيته تعالى فقال جل شأنه (وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا، قل آمنوا به أولا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا، ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا)الإسراء/109.106.

وقال تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا)مريم58.

قال القرطبي وفيض العين بحسب الذاكر ومايتكشف له فبكاؤه خشية من الله تعالى حال أوصاف الجلال وشوقا إليه سبحانه حال أوصاف الجمال.

3. رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخشى الناس لله وأتقاهم له

قال النبي (ﷺ): "إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية" ويقول عبد الله بن الشخير: "دخلت على رسول لله فوجدته يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء" أخرجه أبو داود والنسائي وعن حذيفة قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة. ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها. ثم افتتح النساء فقراها ثم افتتح آل عمران فقراها يقرأ مترسلا إذا مر بأية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول "سبحان ربي العظيم" فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال: "سمع الله لمن حمده" ثم قام طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال "سبحان ربي الأعلى" فكان سجوده قريبا من قيامه. رواه مسلم.

ست أو سبع ساعات وهو يتبتل إلى الله، حتى تفطرت قدماه، وتشققت رجلاه فتقول له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: يارسول الله كيف تفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر؟ فيقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: "أفلا أكون عبدا شكورا".

ولقد قام عليه الصلاة والسلام ليلة من الليالي فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ثم بكى، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ثم بكى، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ثم بكى، ثم قال: ويل لمن لم تدركه رحمة الله، ويل لمن لم تدركه رحمة الله، ويل لمن لم تدركه رحمة الله.

يسجد عليه الصلاة والسلام السجدة الواحدة مقدار مايقرأ الواحد منا خمسين آية، ويركع الركعة الواحدة مقدار مايقرأ القارئ منا خمسين آية، هذا في صلاة الليل، يدعو ويبكي إلى الصباح، حتى تسقط بردته من على كتفيه، كما في ليلة بدر، يناجي ربه، ويقرأ كتابه، ويتبتل إلى الله، لأن العبادة أقرب باب إلى الله.

قال بلال كما روى ابن جرير وابن مردويه: مررت على رسول الله قبل صلاة الفجر، فسمعته يبكي فقلت: مالك يارسول الله؟قال: أنزلت علي هذه الليلة آيات، ويل لمن قراها ولم يتدبرها قلت: ماهي يارسول الله؟ فأخذ يقراها ويبكي :(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)آل عمران: 191.190.

4. حال السلف الصالح

لم يكن سلفنا الصالح يخافون ويبكون ويتضرعون نتيجة تقصيرهم أو نتيجة عصيانهم وكثرة ذنوبهم، كلا بل كانوا يخافون أن لايتقبل الله منهم ولهذا لما سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله عن قوله تعالى (والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: "لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لايقبل منه" قال الحسن : عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانا وخشية وإن المنافق جمع إساءة وأمنا.

ومن أقوال الحسن البصري: بلغنا أن الباكي من خشيه الله لاتقطر من دموعه قطرة حتى تعتق رقبته من النار وقال ايضا : لو أن باكيا بكى في ملأ من خشية الله لرحموا جميعا وليس شيء من الأعمال إلا له وزن إلا البكاء من خشية الله فإنه لايقوم الله بالدمعة منه شيء وقال: مابكى عبد إلا شهد عليه قلبه بالصدق أو الكذب.

وهذا سفيان الثوري رحمه الله كان يكثر البكاء فقيل له: يا أبا عبد الله بكاؤك هذا خوفا من الذنوب، فأخذ سفيان تبنا وقال: والله للذنوب أهون على الله من هذا ولكن أخاف أن أسلب التوحيد. وهذا أبو هريرة كان يقول في آخر حياته: "اللهم إني أعوذ بك أن أزني أو أعمل كبيرة في الإسلام"، فقال له بعض أصحابه: ياأبا هريرة ومثلك يقول هذا أو يخافه وقد بلغت من السن مابلغت وانقطعت عنك الشهوات، وقد شافهت النبي وبايعته وأخذت عنه، قال: "ويحك، ومايؤمنني وإبليس حي".

ويقول الإمام الغزالي: ولايسلم من أهوال يوم القيامة إلا من أطال فكره في الدنيا فإن الله لايجمع بين خوفين على عبد فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة ولست أعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينيك ويرق قلبك حال الموعظة ثم تنساه على القرب، وتعود إلى لهوك ولعبك، فما هذا من الخوف في شيء فمن خاف شيئا هرب منه، ومن رجا شيئا طلبه، فلا ينجيك إلا خوف يمنعك من المعاصي ويحثك على الطاعة، وأبعد من رقة النساء خوف الحمقى إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم: استعنت بالله اللهم سلم سلم، وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم، فالشيطان يضحك من استعاذته كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فإذا رأى الذياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه: أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وإحكام أركانه، فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأنى يغني عنه ذلك من السبع وكذلك أهوال الأخرة ليس لها حصن إلا قول لاإله إلا الله صادقا ومعنى صدقه أن لايكون له مقصود سوى الله تعالى ولامعبود غيره) فالله أسأل أن يجعلنا ممن إذا خافه أطاعه وابتعد عن معاصيه.

وبالتأمل في سيرة الصالحين الباكين من خشية الله تعالى نجد أنهم اشتركوا في صفة واحدة على تنوع عباداتهم واجتهاداتهم في طاعة الله تعالى تلك الصفة هي الإخلاص المنافي للرياء فلقد كانوا رضي الله عنهم أبعد الناس عن أن يراهم أحد حال البكاء حرصا منهم أن لايدخل العجب قلوبهم فتبطل عباداتهم وتراهم شددوا بلسان الحال والمقال على هذه الصفة ابتغاء نيل الأجر كاملا غير منقوص من رب العالمين لا من مدح المادحين.

السلف الصالح أدركوا حقيقة الإيمان وحققوه في حياتهم قولا وعملا وكانت سيرتهم العطرة زادا يشحذ الهمم الراكدة وينير القلوب التي أظلمتها المعاصي ولايسعنا في هذا المقام إلا أن نقتطف بعضا من سيرتهم ونسبح لحظات في جو إيماني مع خير الناس على وجه الأرض.

ذاك والله هو الإيمان الحق الذي ليس بالتمني ولا بالتحلي ولكن ماوقر في القلب وصدقه العمل وهؤلاء هم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون وإن لم يكن هؤلاء أولياء الله فليس لله ولي.

ذاك الإيمان الصادق تجسد في أولئك الصالحين في أحسن صورة فكونوا به أطهر حضارة على وجه الأرض وحملوه إلى كل الآفاق ففتحوا به البلاد وفتحوا معها قلوب العباد وحطموا الطواغيت ونشروا كلمة التوحيد.

5. هذا حالهم فكيف حالنا؟

السؤال الذي يفرض نفسه الآن أين نحن من هؤلاء؟ وماسر هذه الانتكاسة التي يمر بها المسلم اليوم؟ لماذا أصبحنا نقرأ القرآن ولانخشع، بل قد لايحدث فينا شيئا ولو ضئيلا مما كان يفعل بهؤلاء الصالحين، فالقرآن هو القرآن ، والزمان هو الزمان، والمشكلة إذن في الإنسان، هذا الإنسان الذي أصبح ضعيف الإيمان، طغت عليه المادة حتى أصبحت مبلغ علمه، وأهم مطمحه ومبتغاه، وأصبح متشبثا بالحياة تشبثا أعمى، فنسي خالقه وربه، فهل من الممكن أن نتدارك ماضاع من كياننا، وأن نصلح مابيننا وبين ربنا؟ عدد من الأسئلة تتبادر إلى الذهن، في ظل مانعيشه من حياة مرتكبة، متشعبة، اختلط فيها الحابل بالنابل، وكثر الخبث...

إن حياة السلف الصالح من هذه الأمة تشير بساطة إلى موضوع الخلل في حياتنا... إنه في قلوبنا، وليس لها شفاء إلا في الرجوع إلى كتاب الله، فعلينا أن نتدارك حالنا قبل فوات الأوان...

حديث المنابر

صفة الجنة وأهلها، صلة الرحم

■ إعداد الاستاذ: رضوان ابن شقرون

استفتاح: الله أكبر(سبعا)

الله أكبر ما تعاقب الليل والنهار، الله أكبر ما تلا مخلوق من الحمد والتسبيح والاستغفار، الله أكبر ما تواردت الهواجس والخواطر والأفكار.

وسبحان الله وبحمده عدد ماسبح المسبحون، وسجد الساجدون، وتضرع المتضرعون، "فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون".

والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا، فيه، والحمد لله كما ينبغي لعز جلاله وجلال وجهه وعظيم سلطانه، و"الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا نهتدي لولا أن هدانا الله".

ولا إله إلا الله نشهد بها شهادة تطمئن بها عن إيمان قلوبنا، وتنطق بها عن يقين ألسنتنا، وتتحرك بها عن إخلاص جوارحنا، وتجري بها عن صدق واقتناع أعمالنا، ونشهد أن سيدنا محمدا رسول الله شهادة نقر بها إيمانا وتصديقا ويقينا، ونشهد أنه قد بلغ رسالة ربه كما تلقاها، وأدى الأمانة كما حملها، ونصح الأمة فانكشفت غمتها، ودعا إلى الله بالحكمةوالموعظة الحسنة فوفى الدعوة حقها، وجاهد في الله صابرا محتسبا بجميع الوسائل حتى في نفسه يقينها، اللهم اجزه عن الإسلام والمسلمين خير ما جزيت به نبيا عن أمته، وصل اللهم وسلم عليه وعلى أزواجه وآل بيته، وارض اللهم عن أسرته وصحابته، وعن التابعين وتابعيهم، ومن اقتفى أثرهم واتبع سبيلهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين. "يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون"(الأنفال:8/31.30)، "يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون"(الأنفال8/34).

بين الخوف والرجاء: الله أكبر، الله أكبر

عباد الله: ها قد ولى عنا وودعنا شهر رمضان، شهر الصيام والقيام، شهر القرآن والغفران، وأقبلت علينا أيام الفطر وفرحة العيد، فلله الحمد وله الشكر أن أحيانا حتى صمنا شهرنا، وإلى قيام لياليه هدانا، وإلى التهجد والذكر وفقنا. وليكن شكرنا لله عز وجل استمرارا في العبادة والطاعة، وإخلاصا في السر والعلانية، فإن رمضان يمضي ويعود، والأيام تبخل وتجود، ولكن الله دائم موجود، والإنسان فان مفقود، صائر إلى الغفور والودود، وإنما يستشعر حقيقة الحياة لدينا وزوالها، وساعة الآخرة وأهوالها أولئك المؤمنون الذين بادروا إلى امتثال أمر الله تعالى بصيام تعبدي خالص إيمانا واحتسابا، وقيام صادق مخلص إيمانا واحتسابا، فهؤلاء يفرحون اليوم إذا أفطروا بفطرهم، ويفرحون غدا إذا لقوا الله بصومهم، لأنهم امتثلوا أمر ربهم خلال أيام رمضان ولياليه، ففروا إلى الرحيم الرحمن الواحد القهار، معتصمين من ضلالهم بهدايته،حذرين من ناره بعبادته، قاضين لحظات عيشهم بين خوفه ورجائه، والله عز وجل امتدح عبادا له عاشوا يبادرون إلى كل بر وطاعة، ويدعونه بخشوع وخضوع، رغبا في نعيمه ورضوانه، ورهبا من عذابه وسخطه، فقال فيهم سبحانه وتعالى: "إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين" (الأنبياء21/89)، وأمر أن ندعوه خوفا وطمعا، فقال جل شأنه: "وادعوه خوفا وطمعا" ثم عقب سبحانه وتعالى على ذلك ببيان أن "رحمة الله قريب من المحسنين"(الأعراف7/55)، فهي موفورة ميسورة ليس بين العبد وبينها إلا أن يتسلق درجات التقرب، ويطمع في مرتبة الإحسان، فإذا أدركها استحق قبول عمله وجزاءه عليه بكريم ثوابه، فأنعم عليه بمغفرته الشاملة، ورحمته الواسعة، وجنته الوارفة.

المؤمنون يقون أنفسهم من غضب ربهم وعذابه، ويعتصمون به من ناره وعقابه، استجابة لأمر الله عز وجل في قوله :يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" (التحريم66/6) مسارعين إلى مغفرة ربهم ليكفر عنهم سيئاتهم، متضرعين إليه بالتوبة والإنابة ليشملهم برحمته وعفوه، وليفوزوا بجنته ونعيمه: "فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز"(ال عمران3/185)، راجين أن يدخلوا في خطاب رب العزة سبحانه: "الذين آمنوا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب، وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون. وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون، لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون" (الزخرف43/73.69).

ويحفزهم قول النبي الكريم (ﷺ):"موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها" (أخرجه البخاري، عن سهل بن سعد رضي الله عنه).

صفة الجنة وأهلها: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

أيها المسلمون المؤمنون، إن الجنة دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرا لأحبابه، وملأها من رحمته ورضوانه، وأودع فيها الخير بحذافيره، وطهرها من العيب ومظاهره والشر وعناصره والنقص وأدرانه: إن سألت عن أرضها وتربتها فهما المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن ملاطها (وهو الطين الذي يجعل بين اللبنات في البناء) فهو المسك والإذخر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والمرجان، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، وإن سألت عن أشجارها فساقها من الفضة لا من الخشب والحطب، وإن سألت عن ثمارها فأمثال القلال: ألين من الزبد وأحلى من العسل: "وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة" (الواقعة56/3534).

وإن سألت عن ورقها فأحسن مايكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها فهي "أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى"(محمد47/16)، وإن سألت عن طعام أهلها ف "فاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون"(الواقعة56/2423).

وإن سألت عن شرابهم فألذ شراب الزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فأكواب من قوارير الذهب والفضة الصافية.

وإن سألت عن سعة أبوابها فما بين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وإن سألت عن ظلها فكل شجرة يسير الراكب المجد السريع فيه مائة عام لايقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه ألفي عام، وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلا (الميل 1610متر).

وإن سألت عن فرشها ف "بطائنها من استبرق" (الرحمن 53/55) مفروشة في أعلى الرتبوإن سألت عن الأزواج فالعرائس فيها من الكواعب الأتراب برقتهن ولطفهن وحسنهن، والنساء فيها من الحور العين بجمالهن وصفائهن وطهارتهن، والرجال فيها من الأتقياء الصالحين المخلصين، وإن سألت عن علاليها وجواسقها ف "غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار"(الزمر39.19)، وإن سألت عن الأصوات فيها فأصوات الملائكة المقربين، والأنبياء المختارين، ورنين السلام والتهنئة المنتشر في جنباتها وارجائها، وأعلى منها خطاب الله رب العالمين الرحمن الرحيم "لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما، إلا قيلا سلاما سلاما"(الواقعة56/28.27).

وإن سألت عن يوم المزيد، ورؤية العزيز الحميد، ووجهه الكريم المجيد، فكما يرى المرء في عالمه الحسي الشمس في وهج الظهيرة، والقمر في الليلة بدرية، وهذا تشبيه رؤية لا تشبيه مرئي، فهو سبحانه المنزه عن التمثيل والتشبيه، وإنما تواتر الخبر عن الصادق المصدوق (ﷺ)، بذلك، ونقل إلينا به الخبر في الصحاح والسنن والمسانيد، من رواية صهيب وأنس وأبي سعيد، وتعالى الله عن الشبيه والمثل علوا كبيرا.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

ألا فاستحضر أيها المؤمن في غمرة الاحتفال بالعيد الابتهاج بالجنة ونعيمها، وتمثل يوم ينادي المنادي: ياأهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى مستزيركم، فحي على زيارته! فيقولون: سمعا وطاعة. وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون على ظهورها مسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدا، وجمعوا هنالك، أمر الرب تبارك وتعالى فنصبت لهم منابر من لؤلؤ ومنابر من نور ومنابر من برجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم. وحاشاهم أن يكون فيهم دني. على كثبان المسك، مايرون أن أصحاب المنابر فوقهم في العطايا، حتى إذا استقروا في مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم، نادى مناد: ياأهل الجنة، إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجز كموه ، فيقولون: ماهو؟ لم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار؟فبينا هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله قد أشرق عليهم من فوقهم وقال: "ياأهل الجنة، سلام عليكم"فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: "اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام" فيتجلى لهم الرب سبحانه وتعالى يضحك إليهم ويقول: "يا أهل الجنة" فيكون أول مايسمعون منه تعالى: "أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فهذا يوم المزيد" فيجتمعون على كلمة واحدة :"أن قد رضينا فارض عنا" فيقول : "ياأهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي، هذا يوم المزيد، فاسألوني" فيجتمعون على كلمة واحدة "أرنا وجهك ننظر إليك" فيكشف لهم الرب جل جلاله عنه لحجب، ويتبدى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى ألا يحترقوا لاحترقوا، ولايبقي في ذلك المشهد أحد إلا حاضره ربه عز وجل محاضرة حتى إنه يقول: "يافلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟؟يذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: "يارب ألم تغفر لي؟"فيقول:"بلى، بمغفرتي بلغت منزلتك هذه".

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة! ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة!

ويا ذلة الراجين بالصفقة الخاسرة! "وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة، ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة"(القيامة75/24.21)

الاحتراز من الاغترار بالدنيا: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر:

فيأيها الناس،تلك النار التي أعدت للخاسرين الخائبين من العصاة والكفرة، وهذه الجنة التي أعدها الله للصالحين الصادقين المخلصين من العباد، لاتودعوا بوداعكم رمضان: الصيام والقيام والقرآن، ولاتكفوا عن العبادة والطاعة والبر والإحسان، وإن خلفتم رمضان فقد خلفكم، واعلموا أن صيام أيام قلائل، قال فيهن الشافع المشفع (ﷺ) قولا يفيد المؤمن التقي أنه لو أضاف صيامها إلى ما قدم من صيام رمضان عدلت في الأجر والثواب صيام الدهر كله: فقد أخرج الإمام مسلم وأصحاب السنن عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: "من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر كله".

فلنحرص على صيام هذه الأيام من الشهر الذي نستقبله اليوم، ولنحرص بعد ذلك على صيام الأيام المسنونة خلال السنة، والتي بها فوائد جلى للمؤمن، جسما وعقلا وذخرا ليوم المعاد، كالأيام البيض من كل شهر، ويومي الإثنين والخميس من كل أسبوع، ويومي عاشوراء وتاسوعاء، ويوم عرفة لغير الحجاج، ولنجعل مما قدمنا من قيام في رمضان توطئة لتعود قيام سائر الليالي ولو بالأقل القليل من الركعات، ولنجعل ماقرأناه أو سمعناه من القرآن الكريم خلال رمضان منطلقا للعزم على دوام الاتصال بكتاب الله العزيز: تلاوة وتدبرا وفهما وعملا، ولنجعل ما عملناه من أعمال الخير والإحسان خلال رمضان سببا للمداومة على أوجه البر والمعروف في سائر الأيام، ولنعقد العزم على أن نصلح حالنا، وندوم على توثيق الصلة بيننا وبين ربنا، ولنحرص على حسن التعامل مع أحبابنا وأصحابنا، ولنجعل التوبة من المعاصي والآثام عادتنا، والتقرب إلى الله ديدننا، والطاعة والعبادة والخالصة دأبنا.

ألا فالحذر الحذر أيها الإنسان من نسيان ربك بعد رمضان، والعودة إلى معصية الكريم المنان، فكثير من ضعاف الإيمان، ينتظرون خروج رمضان، فيعودون إلى ما كانوا عليه قبله، ويستقبلون العيد بالرجوع إلى التكاسل والتواكل، والتباغض والتخاذل، والغرق في المعاصي المهلكات، والذنوب الموبقات، وأنواع المخالفات!!

ألا فاعزم أيها المخلوق على توبة نصوح إلى ربك، وأوبة خالصة من عيوبك، توبة لا عودة بعدها أبدا إلى ذل المعصية، وأوبة لاتخلي بعدها عن الطاعة المنجية.

(يتبع)

علم التوقيت وحدة اليوم وقياس ضبط الوقت بالمزاول الشمسية (6/4)

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

■ لقد ارتكز الانسان منذ القدم في تحديد الزمن على مقاييس أساسية طبيعية نضمنها كالآتي:

1. حركة الأرض حول نفسها وهي الحركة الظاهرية اليومية للشمس.

2. حركة الأرض حول الشمس وهي الحركة الظاهرية السنوية للشمس.

3. حركة القمر حول الأرض.

وبملاحظة حركة الأرض حول نفسها أو حول الشمس نجدها ترتبط بالشمس ، لذا نجد أمامنا مقاييس زمنية شمسية، وكذلك بالنظر إلى النجوم الثابتة نجد أمامنا مقاييس زمنية نجمية، وبما أن وحدات قياس الزمن تتمثل باليوم وأجزائه، والسنة وأجزائها دعت الضرورة إلى إيجاد نظام للوقت كما دعت الضرورة إلى اختراع أجهزة التوقيت.

وتنبني المقاييس على أنواع اليوم وأجزائه.

فاليوم الشمسي هو المدة التي تستغرقها الأرض في دورتها حول محورها استنادا لحركة الشمس الظاهرية اليومية ، أو لنقل هو المدة من الزمن من مفارقة مقياس الظل على دائرة نصف النهار إلى عودته لهذا المكان مرة أخرى في المكان الواحد.

. وأما اليوم النجمي فهو بهذاالاعتبار كذلك، ويختلف قوس الليل وقوس النهار في اليوم الشمسي تبعا لعرض البلد وميل الشمس زيادة ونقصانا، ويكون مجموعها 24 ساعة دائما، وما نقص من أحدهما يزاد في الآخر.

ولقد اختلفت الشعوب في شأن تحديد اليوم، فبعض الشعوب اعتبرت اليوم جامعا لليل والنهار، في حين أطلقت شعوب أخرى تسمية اليوم للدلالة على النهار فقط، ولذلك يقال: فلان عمل عند فلان سبعة أيام ويعني ذلك مدة النهار أي من وقت طلوع الشمس إلى غروبها ، فلم يطلق اليوم هنا على 24 ساعة، ونجد في القرآن الكريم (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما).

وكذلك وقع الاختلاف في بداية اليوم، فبعض الشعوب قدمت الليل على النهار وجعلت بداية اليوم هي بداية الليل، بمعنى أن اليوم يبتدئ من غروب الشمس إلى الغروب التالي كما هو الحال عند العرب والعبرانيين، ومنهم جعل النهار سابقا لليل بحيث يبدأ اليوم من شروق الشمس إلى شروق تال له كما فعل اليونان القدامى والفرس، وأما الرومان فقد عدوا منتصف الليل بداية يومهم ومنتهاه منتصف الليلة التالية.

ويحكى أن الإسكندر المقدوني . سأل بعض الحكماء عن الليل والنهار أيهما قبل صاحبه فقال:(هما في دائرة واحدة والدائرة لا يعلم لها أول ولا آخر ولا أعلى ولا أسفل).

وورد في القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك في سورة يس» لاالشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون»

وما يزال النظام العربي عند بعض العرب يتبع النظام الغروبي، وبذلك يكون ليله سابق لنهاره، وتضبط عند لحظة غروب مركز الشمس على الأفق الغربي المرئي الساعة 12 على مدار السنة ، وتكون الساعة 12 عند شروق الشمس وقت الاعتدال ، وبالنسبة للعروض الشمالية تكون الساعة 12 بعد طلوع الشمس تقريبا في البروج الشمالية، في حين تكون الساعة 12 قبل طلوع الشمس تقريبا في البروج الجنوبية ، وعلى هذا النظام كانت في الشرق تبنى حصص مواقيت الصلاة.

وبالرجوع إلى التراث الإسلامي نجد من ضمنه مؤلفات عدة تتطرق إلى تخطيط آلات فلكية قياسية على عرض مخصوص تبين كيفية تخطيط مزاول لساعات غروبية ثابتة أو متنقلة يدوية ، وهناك ساعة أخرى تسمى بالزمانية، وبالمعوجة يقسم اليوم بها إلى 24 ساعة في النهار و 12في الليل دائما ومبدأ الساعة 1 من الشروق دائما ونهاية الساعة 12 عند الغروب في حين أن الساعة 1 ليلا تبتدئ من الغروب ونهاية الساعة 12 ليلا عند الشروق ، وهذه الساعة (أعني الساعة الزمانية) وإن كانت لها صلة بعلم أحكام النجوم ، فقد تحاشى علماء الفلك والتوقيت المسلمون ما يتعلق بمؤثرات الأفلاك والبروج والمنازل على الإنسان دون أن ينبذ بعضهم ظواهر الفضاء العلوي في حد ذاتها، مع أن هذه الساعة قد يعتد بها في الجانب الطبي.

استنادا إلى ضوابط التاريخ الهجري القمري، أن الشهر القمري يولد بعد ثبوت رؤية الهلال ثبوتا شرعيا فيكون أول يوم هو بعد غروب الشمس ليلة الرؤية فيكون الليل سابقا للنهار ، إذا اليوم في التاريخ الهجري يبتدئ من غروب الشمس إلى غروبها من الغد ولذلك كان النظام الغروبي مناسبا للتقويم الهجري حيث تكون فيه وقت غروب الشمس الساعة 12 دائما .

وهنا تطرح إشكالية الموافقة بين تقويم قمري وتقويم شمسي لما يشكله اختلاف مبدأ اليوم في كل تقويم.

وبيان ذلك أننا إذا قلنا أن يومه الثلاثاء 12 ذي القعدة عام 1421 الموافق لـ 2001/2/6 ، ففي زوال هذا اليوم تكون الموافقة بين التقويمين ممكنة ، ولكن في الساعة 10 ليلا أي بعد غروب يوم الثلاثاء المذكور بالتوقيت المحلي يكون الموافق للتقويم الميلادي المذكور هو 13 ذي القعدة.

وليس 12 منه لأن يوم 12 ذي القعدة انتهى عند الغروب شمس يومه الثلاثاء. وعلى المؤرخين والموثقين أن ينتبهوا لهذا وإلا قد وقع خطأ في مثل الموافقة إن لم ينتبه لذلك.

وأما النظام الزوالي فهو يبدأ فيه اليوم من منتصف الليل أي تكون نقطة الصفر عند منتصف الليل وينطلق العد إلى 24 ساعة بعده ، وهذا النظام هو المأخوذ به عالميا الآن.

أما حسابات الأزياج عند العرب وعند المسلمين منهم على الخصوص ، فاليوم يبتدئ من منتصف النهار، أي عند الزوال تكون نقطة الصفر ويستمر بعده إلى 24 ساعة ، فالساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة تكون هي الساعة 22 من يوم الخميس قبله، وعلى هذا النظام بني حساب العلامة، وهو حساب للتاريخ الهجري الاصطلاحي، وأيام شهوره قارة ومنضبطة ومعروفة مسبقا ولا علاقة لها بالرؤية ، فقد تكون موافقة لها أحيانا، ومخالفة لها أحيانا أخرى، فيكون في شهر محرم 30 يوما وصفر 29 يوما وربيع الأول 30 يوما... وهكذا شهر 30 يوما وشهر 29 يوما إلى آخر العام القمري، وحساب العلامة هذا هو حجر الأساس والقاعدة الأصيلة في حساب أطوال الكواكب وضوابط رؤية الأهلة.

وعلى هذا فيكون في كل نقطة على سطح الأرض، وعند تحديد أي طول من الأطوال الغربيةأو الشرقية عن كرينتش ، خط للزوال ، أوظل لقائم على سطح أفقي على خط الزوال ، فإذا وقع ظل هذا القائم على خط الزوال يكون الوقت،حينئذ، عند منتصف النهار ، وكان يعرف هذا بالمدفع.

وبيان ذلك أن الموقت كان ينصب مدفعا كبيرا في المدينة الكبيرة وعلى ظهر هذا المدفع أنبوب طويل عميق فمه متجه على رصد خط منتصف النهار نحو الشمس، وفي أسفل هذا الأنبوب زجاجة مقعرة محرقة يرتكز شعاعها على كبريت ، ومن وراء الكبريت كومة من البارود في جوف المدفع، فحينما تصل الشمس إلى دائرة منتصف النهار يرتكز شعاعها بسرعة على الزجاجة المحرقة داخل الأنبوب ، فينطلق دوي المدفع إعلانا لوقت دخول يوم جديد وحلول الشمس منتصف النهار ، وبعد هذا الوقت بخمس دقائق تجب صلاة الظهر على كل مسلم مكلف متواجد بهذا المكان.

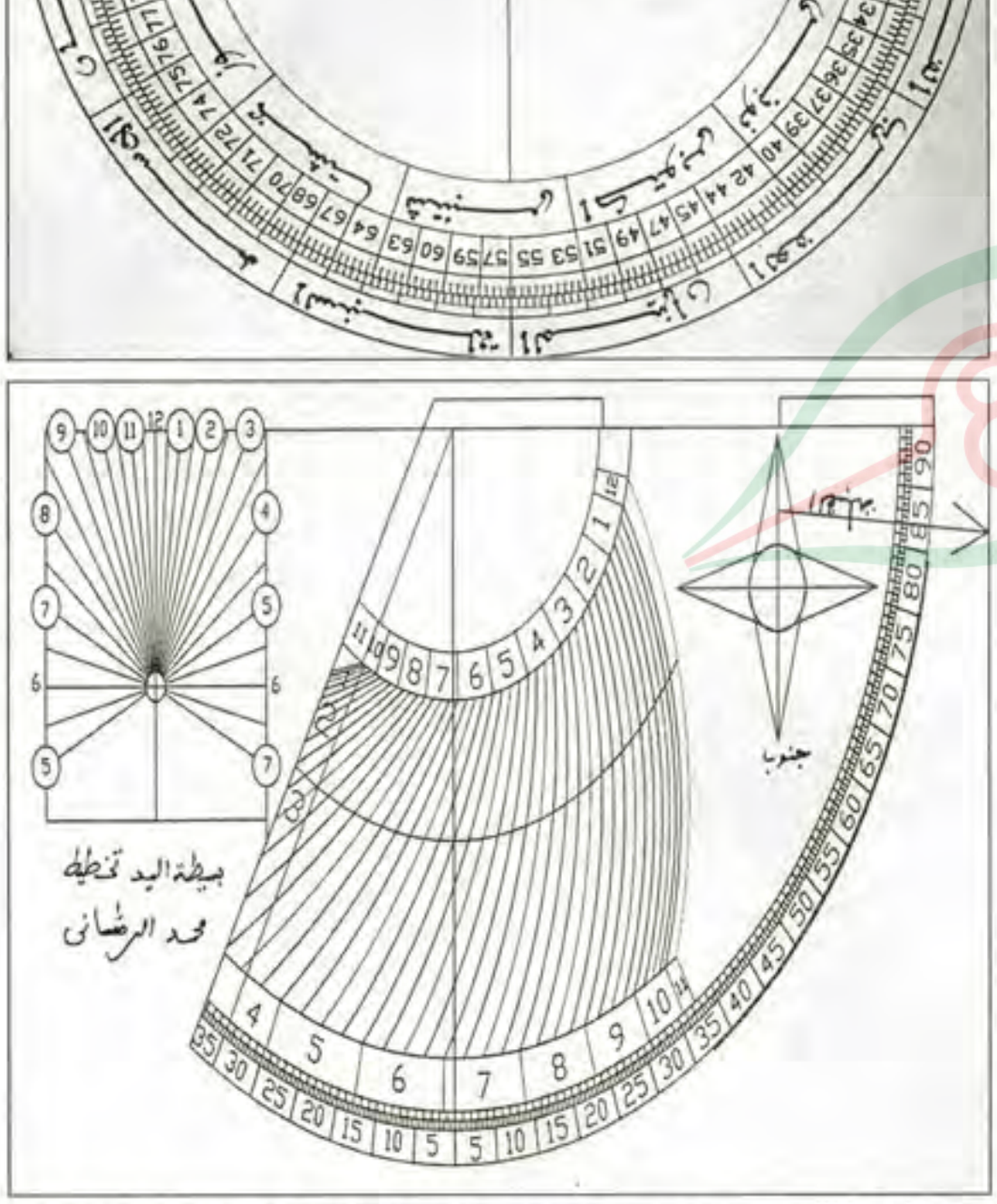

القدوة الحسنة

■ إعداد الأستاذ: أحمد البوشيخي

■ من الظواهر الاجتماعية في حياة البشر، أن الإنسان بطبعه يميل إلى التقليد والمحاكاة خصوصا لمن يرى فيه أنه أفضل منه، فالصغير يقلد الكبير، والضعيف يقلد القوي، والمتعلم يقلد المعلم، والفقير يقلد الغني... وهكذا... وهذه الظاهرة لها خطورتها خصوصا إذا كان المقلد منحرفا عن جادة الصواب، فإن المقلد ينحرف معه بقدر ميوله إليه...

وهذا ما نراه اليوم في عصر التقليد.. في المسكن والملبس والمركب، ويا ليت قلد الناس من أحسنوا وتقدموا فنجحوا... لأن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين. كما قال أحد العلماء. يقود إلى موافقة ما في الاخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد في نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلا يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيا لذلك إلا أن يمنعه مانع... وهكذا... ولذلك شرع الله لنا الاقتداء بالأخيار، ونهانا عن الاقتداء بالأشرار، ورأس الأخيار هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالاقتداء به خاصة في مثل قوله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا(الأحزاب:21)، فشرع الله للمسلمين الاقتداء برسوله في جميع أعمالهم وأقوالهم وأحوالهم، وهذه الآية وإن كان سببها خاصا بغزوة الأحزاب، فهي عامة في كل شيء، ومثلها قوله تعالى : "وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا"(الحشر:7) قال الامام الحافظ ابن كثير رحمه الله: هذه الآية أصل في التأسي برسول الله صلى الله عليه في أقواله وأفعاله وأحواله، وكما شرع الله الاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم شرع الاقتداء بأصحاب رسوله الكرام رضوان الله عليهم. قال تعالى: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم".

قال الإمام الحافظ ابن كثير: "فياويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذا بالله من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن؟

إذ يسبون من مدحهم الله، ويبغضون من أحبهم الله، ويسخطون على من رضي الله عنهم. وكما شرع الله الاقتداء برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه في جميع الأعمال، فقد شرع الله الاقتداء بهم في البراءة من المشركين وفي مخالفتهم لهم قال تعالى "قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إننا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء حتى تومنوا بالله وحده إلا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير(الممتحنة:الآية:4).

فقد شرع الله الاقتداء بالخليلين واتباعهما في عبادة الله، وترك عبادة ماسواه.

ومن القدوة الحسنة والتقليد المحمود: اقتداء الذرية بالآباء الصالحين قال تعالى : "والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وماالتناهم من عملهم من شيء"(الطور:21)

ولكن المصيبة إذا فسد الآباء وكانوا قدوة سيئة لأولادهم في الضلال، كما قال تعالى: "وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوا كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون" ماظنكم إذا كان الأب لايصلي ولايعرف المساجد، وماظنكم إذا كان يتعاطى المسكرات والمخدرات أو يشرب الدخان أمام أولاده، فكيف يكون هؤلاء الأبناء؟ الم يقلدوا والدهم؟ وماظنكم إذا كان الأب لايتورع عن كسب المال الحرام ولو عن طريق الربا والقمار والرشوة، وبيع المواد المحرمة... وماظنكم إذا كان الأب لايتورع عن الغش في المعاملة والفجور في المخاصمة والتزوير في الشهادة والكذب في اليمين؟ ماتظنون في الذرية تشاهد كل هذه الجرائم تفعل أمامها، وفي محيطها، ويمارسها أبوهم، وأقرب الناس إليهم ،إنهم كما سيكونون كما قال الشاعر:

إذا كان رب البين بالدف يولعا
فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وقال آخر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

إنهم في الغالب سيقولون كما قال أسلافهم: "إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون"(الزخرف:23)..

أما قدوة البنات بالأمهات فالمشهود يغني عن المكتوب، فكيف نطلب من الشباب أن يستقيم وأن يكون قدوة للصلاح والإصلاح، وهم يشاهدون آباءهم وأمهاتهم، والأكبر منهم سنا أو ثقافة أو مكانة أو زعامة يفسدون ولايصلحون، يزورون ويرتشون ويرشون، يكذبون ويحنثون، يغشون ولايستحيون. فمن أراد أن يصلح المجتمع فعليه أن يصلح نفسه، من أراد أن يصلح أبناءه عليه أن يكون قدوة لهم فكم من أب يقول: إن أبنائي لايصلون أو أنهم عن الدروس منشغلون؟ وهو يظل نهاره، ويبيت ليله مع التلفيزيون وكان هذا الأب لايعلم أن مايهواه، الولد يهواه الأبناء.

والكل يعلم أن العلماء والمعلمين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هم في طليعة ممن يقتدى بهم، فإن كانوا صالحين ومستقيمين فهم قدوة صالحة، وهم من أعظم الناس أجرا قال تعالى: " ومن أحسن ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين (فصلت:33) وإن كانوا غير مستقيمين وغير عاملين بعلمهم، ومايدعون الناس إليه فهم قدوة سيئة، وهم من أشد الناس عذابا يوم القيامة، قال تعالى : "أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون"البقرة:44

وقال تعالى : ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون" الصف:3.

لذا ينبغي بل يجب على العلماء العاملين والدعاة المخلصين، والمعلمين الصالحين أن يتحلوا بالصبر الجميل في تحمل المشاق وطعن الطاعنين، فهم القدوة الصالحة ولقد أخبرنا رسولنا الكريم بحصول الأجر العظيم لمن كان قدوة في الخير، لأنه سن في الاسلام سنة حسنة وأخبر بحصول الإثم الكبير لمن كان قدوة في الشر لأنه سن في الاسلام سنة سيئة، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء... وقد روي هذا الحديث بروايات مختلفة والسعيد السعيد من قدم لنفسه خيراوكان قدوة في الخير ليجد ذلك عند الله ذخرا، والشقي الشقي من قدم لنفسه شرا وكان قدوة في الشر فستكون عاقبته خسرا.

وليعلم كل انسان، وهذا من المسلمات، أن عمله ينتهي عند حلول أجله وهناك أعمال خيرية يستمر نفعها وأجرها لصاحبها بعد وفاته، وهي أعمال عملها في حياته، واستمر نفعها بعد مماته، فما دام نفعها مستمرا فإن أجرها يجري لصاحبها مهما طالت مدتهما، من ذلك مثلا: توبة العاصي على يديك خير لك من الدنيا ومافيها لأن ماسيعمله هذا التائب من خير سيكون لك فيه حظ من الأجر...

والعكس صحيح، فإن ضللته وارتكب الشر فسيكون لك فيه حظ من الوزر. وكل مشروع خيري ينتفع به الناس والبهائم إلا وهو صدقة تبقى لك جارية.

ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات ابن ادم. وفي رواية: إذا مات الانسان. انقطع عمله إلا من ثلاث. وفي رواية لمسلم. إلا من ثلاثة أشياء : صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له.

وقد فسر العلماء الصدقة الجارية بالوقف الخيري كوقف العقارات والمساجد، والمدارس، وبيوت السكنى للطلبة والمعوزين، والشجر، والمصاحف والكتب المفيدة وغيرها من ادرب الخير، كما فسروا العلم النافع بتعليم الناس أمور دينهم بأي شكل من الأشكال، إما بنشر العلم بالتعليم أو التأليف أو النسخ أو الطبع، أو شراء الكتب وتوزيعها أو وقفها. والعلم كما تعلمون يبقى نفعه مادام في الأرض مسلم وصل إليه هذا العلم.

وكم انقذ الله بعالم مصلح أجيالا من الناس من الضلالة، وناله مثل أجورمن تبعهم إلى يوم القيامة.

كما فسر العلماء الولد الصالح من ذكر أو أنثى بولد الصلب وولد الولد من الذين يجري نفعهم لأبائهم بدعواتهم الصالحة المستجابة لأبائهم.

وبصدقائهم عنهم، وحجهم لهم بعد وفاتهم أو صيامهم لهم إذا ماتوا وعليهم صيام. وحتى دعاء من أحسنوا إليه هؤلاء الأولاد يلحق لأبائهم فكثيرا مايقول الناس للمحسنين رحم الله اباءكم، وغفر لهم.

وفي الحديث حث على تربية الأولاد على الصلاح وتنشئتهم على الدين والصلاح حتى يكونوا خلفا صالحا لأبائهم، وقدوة صالحة لمن سيأتي بعدهم. وصلاح الأولاد لايأتي عفوا بدون بذل أسباب وصبر واحتساب.

روى ابن ماجه: إنما يلحق المومن من عمله وحسناته بعد موته: ... علم نشره أو ولد صالح تركه، أو مصحف ورثه أو مسجد بناه، أو بيت لابن السبيل بناه، أو نهر أجراه، أو صدقة اخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته..

وحتى نكون قدوة صالحة لمن سيأتي من الأجيال بعدنا فعلينا أن نرعى حق اليتيم، واليتيم في الحيوانات والطيور من فقد أمه، واليتيم في الانسان من فقد اباه وأمه أو أباه. وأصل اليتيم في اللغة هو الغفلة، وبه سمي اليتيم يتيما لأنه يتغافل عن بره بعد موت أبيه، فيصبح يتيما يحتاج إلى الرعاية والعطف ويحتاج إلى التربية والتعليم، ويحتاج إلى الإرشاد والتوجيه، وربما يحتاج إلى المساعدة المادية إذا لم يخلف له أبواه من المال والمتاع مايسد حاجته، ويغنيه عن ذل السؤال وحاجة الناس.

واليتيم ليس نقيصة ولا عارا بل هو أمر مقدر من الله تبارك وتعالى ابتلاء للناس، وحتى يعلم كل أحد أن الله هو المربي، وأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، فكم من ايتام بلغوا من المراكز ومن العلم والمعرفة،ومن الصيت والشهرة مالم يبلغه اقرانهم الذين كانوا يتمتعون بحنان الأم ورعاية الأب، ومع ذلك ومهما نحاول أن نخفف من وطأة اليتيم ومرارته بالكلمات فان اليتيم يظل مهيض القلب كسير الجناح حزين النفس يحتاج إلى كثير من العطف والرعاية والتوجيه حتى يعوض مافقد من حنان الأبوين ويتمتع بشخصيته الطبيعية المتوازنة المتحررة من العقد النفسية وإذا لم يحظ اليتيم بمثل هذه الرعاية فإنه قد يصبح عنصرا فاسدا وخطيرا في المجتمع، وقد يلجأ إلى الشذوذ والانحراف، ولذلك فقد اهتم الاسلام بأمر اليتيم وأولاه عناية خاصة ودعا إلى الإحسان إليه ورعايته وكفالته لأنه قد يكون قدوة لغيره. والدليل على هذا الاهتمام ذلك الحشد الكبير من الأيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض المسلمين على اكرام اليتيم، وتوفير سبل الحياة الكريمة له فمن تلك الأيات: قول الله عز وجل: "فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر..الأيات من سورة الضحى. وقول الله تعالى: "وأن تقوموا لليتامى بالقسط... وقول الله تعالى : "وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين" وقول الله تعالى: "أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة" إلى غير ذلك من الأيات في كتاب الله عز وجل.

ومن الأحاديث النبوية: مارواه البخاري عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا" وقال بأصبعيه السبابة والوسطى.

وفي الحديث اشارة إلى أن بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم في الجنة قد تفاوت ما بين السبابة والوسطى..

وفي صحيح مسلم: كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة. وأشار بالسبابة والوسطى.

وكفالة اليتيم هي القيام بأموره والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله إن كان له مال، وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى.

وقوله صلى الله عليه وسلم له أو لغيره. أي سواء كان اليتيم قرابة أو اجنبيا منه.

وقال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه أوصني بوصية. قال: ارحم اليتيم وأدنه منك وأطعمه من طعامك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل يشتكي قسوة قلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اردت أن يلين قلبك فادن اليتيم منك وامسح رأسه، وأطعمه بطعامك فإن ذلك يلين قلبك، وتقدر على حاجتك" رواه الطبراني. قال المنذري ولهذا الحديث شاهد من حديث أبي هريرة رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

ويبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أولئك الذي يمدون يد المساعدة للارامل اللواتي يربين اليتامى غالبا، ينالون أجرا يعدل أجر المجاهدين في سبيل الله أو أجر أواجر الذين يصومون النهار ويقومون الليل روى البخاري في كتاب الأدب عن صفوان ابن سليم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل.

ولهذا قال أنس رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه وأحب عباد الله إلى الله تعالى: من اصطنع صنعا إلى يتيم أو أرملة. وروى أن الله تعالى: أوحى إلى داود عليه السلام: ياداود: كن لليتيم كالأب الرحيم وكن للأرملة كالزوج الشفيق واعلم كما تزرع كذا تحصد. معناه أنك كما تفعل كذلك يفعل معك. أي لابد أن تموت وقد يبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة ولتكونوا قدوة للناس ارحموا اليتامى ولاتهينوهم في بيوتكم وبخاصة الذين عندهم خدم يتامى في بيوتهم أو خادمات فما أكثر مانسمع أن الخادمة المسكينة اليتيمة تنام في المطبخ أو في أي مكان، وتأكل وحدها في المطبخ أو في أي مكان. كأن هذه اليتيمة ليست بشرا مع العلم أن البعض يشتري كلب بثمن باهض فيهيىء له السكن، ويطعمه الطعام الحسن، ويجعله بجانبه أو خلفه في السارة، في حين أنه يهين الخدم والمساكين فلا حول ولاقوة إلا بالله.

فضل الصدقة والإنفاق في سبيل الله

■ الأستاذ أحمد تشيكرت

■ الصدقة مأخوذة من الصدق لأن المتصدق أقام الدليل على صدق إيمانه مع الله وأحسن العلاقة مع عباد الله ، فأجاد من ماله على عيال الله بما يسر عليه الله.

ومهما كانت صدقة المرء قليلة فإن نيته في أدائها يجعلها عند الله عظيمة وكبيرة عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها بصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل » ، رواه البخاري وفي رواية لابن حزيمة. إن العبد إذا تصدق من طيب تقبلها الله منه وأخذها بيمينه، فرباها كما يربى أحدكم مهر أو فصيله . وأن الرجل ليتصدق باللقمة فتربو في يد الله حتى تكون مثل الجبل فتصدقوا .

والفلو : هو المهر . والفصيل ولد الناقة.

والصدقة لا تنقص المال . والصدق في أدائها يزكي المال وينميه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ما نقصت صدقة من مال. وما زاد الله عبدا يعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل » رواه مسلم وعن جابر قال ، خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا» رواه ابن ماجة.

وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبين الله ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » رواه أحمد

روى المفسرون عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: لما نزل قوله تعالى « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون» سورة البقرة الآية / 245. قال أبو دحداح الأنصاري يارسول الله إن الله عز وجل يريد منا القرض؟ قال نعم ياأبا الدحداح قال : أرني يدك يارسول الله ، فناوله يده قال : فإني اقرضت ربي عز وجل حائطي ، قال ابن مسعود حائطه فيه ستمائة نخلة . وأم الدحداح فيه فنادها ياأم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي فإني اقرضت ربي عز وجل.

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الصدقة أفضل؟

فقال الصدقة في رمضان

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استقبل رمضان استقبله بفيض من الكرم والجود فهو في هذا الشهر الكريم أجود بالخير من الريح المرسلة .. روى البخاري عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة.

وكان صلوات الله وسلامه عليه يدرب أصحابه على أن يكونوا كرماء مثله في شهر رمضان فكان يحثهم على إطعام الجائع ، ويذكرهم بأن هذه نعمة ينبغي للمؤمن أن يتجه إلى المولى عز وجل جلت قدرته بالدعاء ليوفقه إليها ويجعله من أهلها ، يقول أنس (رضي الله عنه) جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة ، وجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم « أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة ». رواه أبو داود .

وجاءت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تعد الكرماء الذين يقدمون الطعام للصائمين بأن الله عز وجل سيعطيهم مثل أجور من أطعموهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وعلاوة على ذلك فإن الملائكة تصلي على من أكل عنده حتى يفرغ الآكلون ويصافحه جبريل ليلة القدر .

فلنسارع إلى البر والصدقة والإحسان لاسيما وأن المال مال الله استخلفنا فيه، وليس للإنسان من ماله إلا ما تصدق به أما ماعدا ذلك فمآكل تفنى وملابس تبلى ، ومظاهر خادعة والمال نعمة يوم يسخر لخدمة المجتمع ، ويوم يراعى فيه حق الله وحق الضعفاء . وإلا انقلب إلى نقمة ووبال على صاحبه في الدنيا والآخرة . والكريم يحبه أهل الأرض والسماء ، والبخيل يمقته أهل الأرض والسماء ومامن يوم إلا وينادي فيه ملكان يقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا.

ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا.

فوائد الانفاق في سبيل الله.

وتتجلى هذه الفوائد فيما يلي:

1. محاربة الفقر والجهل والمرض، فالانفاق في سبيل الله يمكن من علاج المريض وتعليم الجاهل ، وتشغيل العاطل ، وبذلك يسلم المجتمع من جميع الآفات .

2 نشر المحبة بين الناس لأن الانفاق يغسل قلوب الفقراء من الأحقاد والضغائن ويملؤها محبة واحتراما فتسود المحبة والألفة بين الجميع.

3. القضاء على الجرائم ، لأن كثيرا من الجرائم كالسرقة والغصب والبغاء والقتل إنما تتوالد في غالب الأحوال من الفقر والحرمان .

4. حماية الأمة ومقدساتها ، لأن الإنفاق في سبيل الله يوفر للأمة القوة اللازمة للدفاع عن نفسها وحماية عقيدتها وأخلاقها ، ومن المؤسف أن نجد كثيرا من الناس ينفقون بسخاء على مآدب ومناسبات رياء وسمعة لكن حينما يدعون للإنفاق في مرضاة الله ينتحلون أعذارا واهية.

والله ينادي المؤمنين للإنفاق في كل وقت وحين « ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولا خلة ولاشفاعة والكافرون هم الظالمون» سورة البقرة : الآية 252.

تجمعا تأبينيا فقيد العلم والدين الحسن الكتاني

تنظم رابطة علماء المغرب والمجلس العلمي وجمعية أبي رقراق والطريقة الكتانية ، وجمعية الإمام البخاري تجمعا تأبينيا بمناسبة الأربعين لوفاة فقيد العلم والدين والدعوة إلى الله ورسوله ، فضيلة المرحوم الشيخ الحسن بن مولاي إبراهيم الكتاني ، يشارك فيه العلماء والمفكرون والدعاة ، وذلك يوم الجمعة 24 شوال الجاري الموافق 19 دجنبر 2003 على الساعة الرابعة بعد الزوال بقاعة الحفلات ببلدية القنيطرة والدعوة عامة لجميع علماء الرابطة وأعضاء الأمانة العامة ورؤساء الفروع.

خواطر ومحاضر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

حصيلة هزيلة لبرامج التلفزيون في رمضان واقتراحات بلاعنوان

2/2

■ لقد أثار انتباهي وأنا أتابع مسلسلات رمضان مسلسل عربي بدا لي من أول وهلة أنه يهدف في مضمونه إلى ترسيخ قيم وسلوكات اجتماعية وتربوية أو توجيهات لحقائق علمية، فإذا بي أفاجأ بخروجه عن دائرة الأعراف الأصيلة والقيم الرفيعة للمجتمعات العربية الإسلامية وراحت بطلة المسلسل نبيلة عبيد تصرخ بكلام أكثر أعجمي بالأنجليزية استوحته من القارة الأمريكية مستعملة لغة لا علاقة لها بالحوار الدائر في مشاهد الحلقات المتلاحقة.

وعن قصة هذا المسلسل قال الناقد المصري علا الشافعي : إن مؤلف المسلسل محمود زايد وقع في خلل درامي منذ البداية باختياره نموذجا كنمط قيمي يتعين علينا محاكاته لحل مشكلات مجتمعنا من خلال بطلة المسلسل وهي سيدة حاصلة على شهادة في علم النفس من الولايات المتحدة ، وتعود إلى مصر لتعمل مديرة مدرسة وتتولى تربية النشئ.

ويقول ناقد آخر: إن المشاهدين يسخرون من طريقة نطق الكلمات الأنجليزية التي ترددها بطلة المسلسل والمصحوبة بمواعظ مباشرة، وأضاف: إن المسلسل يقدم حلولا لا أخلاقية وغير واقعية ، فمشكلات الشباب ليست ناتجة عن فساد أخلاقي فحسب ، بقدر ماهي نتاج واقع اجتماعي واقتصادي صعب يعاني منه الشباب الذين لا يجدون فرص عمل».

وقد حاولت بدون جدوى الامساك برأس خيط المسلسل لعل وعسى أن أحصل على الفائدة المرجوة.

وعن برامج تلفزتنا الاحظ وبالأسف كثرة الأخطاء اللغوية التي تصدم الأذان ، فالفاعل منصوب والمفعول مرفوع ، أو عدم النطق السليم للغة العربية.

وبخصوص برامج الطفل أرى أن أكثر الشخصيات التي تقدم للأطفال في المسلسلات الأجنبية غريبة وخيالية بعيدة كل البعد عن تربية نشئنا في مجتمع مسلم" ، فالطفل يحتاج إلى برامج تجمع بين الترفيه والتربية المثلى والمعلومات الحقيقية لا إلى برامج تافهة وسطحية تسخف بعقله الصغير.

إن دراما العنف والجريمة والإغراء الجنسي والاعلانات المغرية بالرغبة في الطلب على سلع بعضها استفزازي بالنسبة لمشاهدين فقراء ليسوا في حاجة إلى كماليات ولكن تنقصهم ضرورات العيش.

لقد مضى على تأسيس التلفزيون المغربي أكثر من أربعين عاما، ومع ذلك لا زال يراوح مكانه ، ولحد الآن لم يحقق الغايات المطلوبة، فبرامجه في أغلبها تسودها السطحية، وتبعث على الملل، ولا تقنع الشباب المثقف، وبعض مواده المعروضة على الشاشة لها تأثير عكسي على الأسرة مثل بعض أفلام الجريمة والعنف، أين البرامج الدينية الهادفة والمسلسلات التاريخية الناجحة ذات التأثير الفعال في غرس القيم وتعريف الشباب بجوهر الاسلام ؟ لماذا نمعن في تقليد الغرب بسذاجة مضحكة ؟ لماذا لا يحرص المبرمجون على اختيار النصوص الجيدة التي تعطي الأخلاق والمثل العليا وتربي الأجيال؟ أين البرامج التي تحث على الارتقاء بالبيئة وتكشف مواقع ومواضع وأضرار التلوث البيئي ؟ ألم تهدهم أفكارهم إلى كشف مثالب المجتمع وعيوبه وتعري سلوكياته المرفوضة؟ من الملاحظ، أيضا، أن التلفزيون قلما يطرح قضايا الساعة وهذا من أكثر سلبياته ، كما أنه يبخل على مشاهديه بتقديم معلومات ومشاهد من عين المكان ، وصور لكثير من المعالم التراثية والحضارية التي يزخر بها المغرب، والتركيز على تعريف المواطن بجمال وسحر بلاده وأعرافها وتقاليدها.

إن حصيلة البرامج الهزيلة التي قدمها التلفزيون بقناتيه الأولى والثانية في رمضان تدعونا وخاصة بعدتأسيس مجلس الإعلام السمعي البصري إلى التفكير بجدية ومسؤولية في طرح مشروع تنظيم مناظرة وطنية يشارك فيها إعلاميون كبار من الشرق والغرب ومتخصصون في مجال الإعلام ونخب من الجمهور المهتمين بما يقدمه التلفزيون تستهدف إعادة النظر في توجيهاته ورسالته وأهدافه الحاضرة والمستقبلة بما يخدم المشاهد والوطن، معا، ويرفع من شأنه بين تلفزات العالم.

نعمة الإيمان

■ إعداد الأستاذ: عبد الرزاق اصبيحي

■ هل سأل أحدنا نفسه لماذا يدعو في كل صلاة، بل في كل ركعة ذلك الدعاء المتكرر باستمرار، والذي هو جوهر ما في سورة الفاتحة التي لاتجوز الركعة بدونها. هذا الدعاء هو: "اهدنا الصراط المستقيم"؟؟

إنك عندما تقول لأحد المسلمين اليوم "الله يهديك" ينور في وجهك، لأنه يعتبر ذلك اتهاما له بعدم الهداية. فلماذا إذن ندعو الله أن يهدينا؟ ألسنا من المهتدين؟ هل كلنا ضالين نحتاج للهداية؟

الجواب هو: أن "العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية، ورسوخه فيها، وتبصره وازدياده منها، واستمراره عليها. فإن العبد لايملك لنفسه نفعا ولاضرا إلا ماشاء الله، فأرشده تعالى إلي أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق. فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله. فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه. ولاسيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار. وقد قال تعالى "ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل" فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان، وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل، لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة تلك".

فمعنى "اهدنا الصراط المستقيم" كما يقول ابن كثير في تفسيره: استمر بنا عليه، ولاتعدل بنا إلي غيره.

وللاستمرار على الإيمان لابد من أمرين أساسين هما: معرفة فضل الإيمان، وتذوق حلاوة الإيمان. لأن بمعرفة فضل الإيمان، ندرك أنه نعمة عظمى ينبغي المحافظة عليها. وبتذوق حلاوة الإيمان، نحس بأنه منحة ربانية كبرى، ينبغي الاستمرار عليها:

1. فضل الإيمان: يقول الله عز وجل: "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم". وقال تعالى: "وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم". وقال أيضا: "ومن يؤمن بالله يهد قلبه". فأول نتيجة للإيمان هي الهداية، والتي يصلح بها شأن العبد في العاجل والآجل، لأنه يرى بنور الله، فيبصر ببصيرته قبل بصره، وفي ذلك فضل عظيم. قال تعالى: "أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم؟" طبعا الجواب هو أن من هداه الله ومشى على الصراط المستقيم هو أهدى ممن يمشي وبصره ملتصق بالأرض. وهذا تصوير عجيب في القرآن الكريم، فهو يشبه الإنسان الذي لم ينعم بنعمة الهداية كمن ينظر فقط إلى الأسفل. وهذا لن يرى إلا الأرض، والأرض كناية عن الشهوات الفانية، والرضا بالحياة الدنيا. وهذا التصوير نجده أيضا في الآية التي تصور حال المتقاعس عن الجهاد، والتي يقول فيها الله عز وجل: "ياأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض. أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة. فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل".

ومن أفضال الإيمان على المؤمن ارتفاع مكانته عند ربه، حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "المؤمن أكرم على الله عزوجل من بعض ملائكته"(سنن ابن ماجة)، فتصور أيها المؤمن كيف أنك تكون أكرم على الله من ملائكته" لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون"، ملائكة "يسبحون الليل والنهار لايفترون". وأنت مهما بلغ إيمانك فإنك تخطئ وتعصى، وتفتر عن الذكر وتنسى. بل الأكثر من ذلك أن الله عز وجل بمنه وكرمه قيض لك ملائكة يستغفرون لك. وليس أي ملائكة، بل ملائكة عرش الرحمان. وهي مكانة لايصلها كل الملائكة بدليل أن جبريل أمين الوحي عليه السلام، وصل مع الرسول صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء والمعراج مكانا من السماء فقال له: "أنت يامحمد إذا واصلت اخترقت، أما أنا إذا واصلت احترقت". فهؤلاء الملائكة الذين وصلوا إلى مرتبة أن يكونوا حملة العرش هم الذين يستغفرون للذين آمنوا. قال تعالى: "الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تقي السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم".

2 حلاوة الإيمان: إن للإيمان طعم طيب لايجده إلا من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا"(صحيح مسلم) كما أن للإيمان حلاوة لايتذوقها إلا من حقق شروطها، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرأ لايحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" (صحيح البخاري).

إن المؤمن عندما يجد حلاوة الإيمان في قلبه، لايستطيع أن يفارق هذا الإيمان، لأنه يصبح جزءا من كيانه، فيثبته الله في الفتن والمحن، ويخرج منها سالما. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على ما يعلمه خيرا لهم، وينذرهم مايعلمه شرا لهم. وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها وإن آخرهم يصيبهم بلاء وأمور ينكرونها، ثم تجيء فتن يرقق بعضها بعضا، فيقول المؤمن هذه مهلكتي، ثم تنكشف، ثم تجيء فتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي، ثم تنكشف. فمن سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه موتته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر" (سنن ابن ماجة).

إن الإيمان نعمة عظيمة، والثبات على الإيمان نعمة أعظم، وقد طلب منا الله عز وجل أن نحافظ على هذه النعمة، ولو ضيعها الآخرون. قال تعالى: "ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم. إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون".

كما علمنا القرآن الكريم أن نطلب من الله عز وجل الثبات على الإيمان، وندعو بهذا الدعاء" ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب".

أين نحن من أخلاق نبينا (ﷺ)؟

■ إعداد الأستاذ: محمد القاضي.

■ قال الله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"

إن المتأمل في سنة رسول الله (ص) وسيرته العطرة يجد أن هذا النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين، المهيمنة رسالته على رسالات الأنبياء السابقين، كان قمة شامخة في الأخلاق، إذ كان (ص) طوال حياته منذ ولادته ونشأته إلى أن اختاره الله واصطفاه، وارتضاه سبحانه وتعالى لدينه واجتباه، وإلى أن أسلم الروح إلى خالقه ومولاه، بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وهو على أخلاق عالية، وشيم سامية راقية، نال بها شهادة من بالحق خلقه، وبالحق والرحمة بعثه، وبالحق على الكفار نصره، وبخوارق المعجزات ثبت فؤاده لإبلاغ مابه كلفه، وأتم ببعثته الدين وختمه، وعلى غيره من الأديان أظهره حين قال في حقه سبحانه شاهدا له بما به ميزه وعن سائر الخلائق فضله: "وإنك لعلى خلق عظيم" وهي شهادة صدق وشح بها صدره الكريم ربه الرحيم الحليم الذي كرمه ونعمه، ومن بثم شديد آواه وكفله، ومن حيرة كبرى انتشله وأنقذه، وللهدى وفقه وسدده، ومن حالة الفقر والعالة إلى الغنى بدله وحوله، وشرح سبحانه للإسلام صدره ونوره، ووضع عنه وزره ويراه، ورفع ذكره وعظمه وهذب سبحانه أخلاقه وأدبه...

فكانت شهادته سبحانه وتعالى في حق نبيه ورسوله المشهود له بعظيم الأخلاق وسموها على صدره الطاهر وساما بواته الصلاة بمن سبقوه من الأنبياء بالمسجد الأقصى ليلة الإسراء إماما، تعظيما منهم له (ص) واحتراما، وإقرارا منهم بنبوتة وإكراما، واعترافا منهم سلام الله عليهم أجمعين بأن الله جعل بالإسلام للأديان ختاما، وجعل اتباعه واتباع سنة من جاء به على العالمين لزاما.

فكيف بمن شهد الله له بعظيم الأخلاق، وأكد شهادته بمؤكدين اثنين: "إن" و "اللام" أن لا تكون أخلاقه لكل من اعتنق راضيا الإسلام سراجا وهاجا يستضيئ بنوره في كل أموره، ويستغني به عن اللهث وراء ظلمات غيره؟! التي قد يخالها خطأ شهبا مضيئة في سمائهم تغريه ببريقها الزائف الخاطف فتخطف أبصاره وتتركه قابعا في ظلامه لايهتدي سبيلا، فيكون مصيره كالغراب الذي نسي مشيته حين أراد تقليد مشية غيره فأصبح تائها بين المشيتين لاهو رضي بمشيته الأصلية وحافظ عليها، ولا هو استطاع تقليد مشية غيره وظفر بها. أو كالفراشة المتهافتة على النار وقد حسبتها نورا فاحترقت وصارت رمادا.

. كيف لايفلح على الدوام من تأسى في سلوكه بأخلاق خير الأنام وتشبث بسنته واتخذ منها لنفسه منهاجا يهتدي بهديه ويقتدي بنهجه في شأنه الخاص والعام؟!

. كيف لايفلح مع ربه من نزهه تنزيهه؟!وخشيه خشيته؟! وعبده عبادته؟!واطاعه في سره وعلانيته طاعته؟! وصبر في كل أحواله صبره؟!

. كيف لايعيش في سلم دائم مع نفسه من رودها للخير ترويده؟ وكبح جماحها عن الشر كبحه؟!وامتعها بالطيبات تمتيعه؟!وطمأنها بذكر الله مثله؟!

. كيف لايعيش محبوبا بين أهله وأزواجه من عاملهن معاملته، وأحسن إليهن إحسانه، وعدل بينهن عدله؟!

. كيف لايعيش في سلام ووئام مع الغير من نهج في سلوكه معهم نهجه؟!وصفح عن زلاتهم صفحه؟!وعفى عن مسيئهم مع القدرة عليه عفوه؟! وصبر على أذاهم صبره؟! ونصح من استنصحه منهم نصحه؟! وعطف على ضعيفهم عطفه؟!وعامل يتيمهم معاملته؟!ووصل من قاطعه منهم مثله؟!

كيف يخشى أن لايأتمنه الناس على أنفسهم وأموالهم من اتصف بالأمانة والعدل مثله؟!

كيف يتوجس خيفة من تكذيب الناس له مَنْ صدقهم القول والفعل مثله؟!

فأين نحن إذن من أخلاق نبينا الكريم ونهجه القويم؟ فهل سمعنا قول ربنا وتمسكنا بأخلاق نبينا وكنا خير قدوة لأبنائنا وتلامذتنا والأجيال اللاحقة بنا من بني جلدتنا وغيرنا؟أم ضللنا الطريق وخطف أبصارنا البريق وبقينا على وجوهنا نهيم غير آبهين بقوله تعالى : "أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم"؟

فهل أخلصنا نياتنا في كل أعمالنا لله وحده مثله؟

وهل عاملنا الفقير والجار والضعيف واليتيم معاملته؟

وهل صبرنا على الطاعات والمكاره صبره؟

وهل عفونا عن المسيئ لنا عفوه؟...الخ

وهل تحلينا بقيم الصدق والأمانة والإخلاص والوفاء كما كان يتحلى بها خاتم الرسل والأنبياء؟ الذي شهد له بها من رفع بغير عمد السماء، واعترف له بعلو الكعب فيها بعض أعدائه وأعداء رسالته من الكفار والمشركين فأمنوه على أموالهم وودائعهم التي لم يكن حادث هجرته (ﷺ) ليحول دون ردها إليهم بل ترك علي بن أبي طالب بمكة ليرد مابقي من الودائع عنده إلى أصحابها، وهذا والله ليجسد قمة الأمانة والعدل، أن يرد المرء الأمانة إلى أصاحبها مهما صدر منهم في حقه من جفاء وناله منهم من اعتداء وبلاء.

هذه إذن تساؤلات ليس إلا أردت من خلالها وضع اليد على مكامن الضعف والخلل، ومواطن الزيغ والزلل فينا، تعمدت طرحها قاصدا أن يصيبنا من سنا تأملها والإجابة عنها شعاع نلتمس به طريقنا إلى اقتباس أخلاقنا في كل أحوالنا من أسوتنا الحسنة نبينا محمد (ﷺ) الذي شهد له بكمال الأخلاق وسموها ربه عز وجل حين قال في حقه: "وإنك لعلى خلق عظيم" والذي قال في حق نفسه معترفا بفضل ربه عليه "أدبني ربي فأحسن تأديبي" وقالت في حقه من خبرته وعاشرته زوجته عائشة رضي الله عنها وأرضاها : "كان خلقه القرآن".

فكيف بمن اقتبس أخلاقه ممن كان خلقه القرآن أن لايعامل الخلائق بإحسان، وأن لايتعاون معهم على البر والتقوى والرضوان، وأن لايكف أذاه عن الإنسان والحيوان فلا ينالهم منه ظلم أو عدوان بيد أو لسان؟!

فلماذا إذن نتنكب عن سيرته ونزيغ عن منهاجه القويم ونتعلق باعوجاج غيره السقيم؟!

أما آن الأوان لنا أن نستيقظ من سباتنا ونرد إلى السكة الصحيحة قاطرة أخلاقنا، ونراجع أوراق حسابنا في معاملتنا مع بعضنا وغيرنا ونقتبس أخلاقنا من نبينا عليه أفضل الصلوات وأزكى السلام، فنعيش مع بعضنا في إخاء وصفاء ووئام، ونتعايش مع غيرنا في سلام تام واحترام.

ونقدم بذلك الدليل الملموس لغيرنا على سماحة الإسلام ويسره وعدله وخلوه من كل الشبهات التي يراد ظلما وبهتانا إلصاقها به وهو منها براء براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

فمتى نقتدي بنبينا الكريم ونكتفي بمنهاجنا القويم ونستغني عن استيراد مناهج غيرنا الأخلاقية التي هي بالنسبة لنا "كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا" ونعوضه باستيراد ماينفعنا من علومهم وتكنولوجياتهم؟!

بحث حول تدريس القرءان الكريم

■ إعداد الأستاذ : أعمون مولاي البشير

■ أولا التعريف بالقرآن: هو كتاب الله وكلامه الأزلي القديم المنزه عن الحروف والأصوات . أنزله على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بألفاظ حادثة على لسان أمين الوحي جبريل عليه السلام ليتعبد بتلاوته ويعمل بأحكامه، وهو دستور المسلمين ، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

بعض ما ورد في تعليمه وقراءته وتجويده

بادئ ذي بدء لابد من الإشارة باختصار إلى بعض ما ينبغي مراعاته عند إرادة قراءة القرآن الكريم وهي التهيؤ، والاستعداد ، والجلوس بأدب، ثم التعوذ بصيغة مختارة عند القراء هي: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» عملا بقوله تعالى : «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» سورة النحل / الآية :97 وحكمه سنة على المشهور فلابد منه في حق المعلم والمتعلم معا، وكذلك البسملة وصيغتها : بسم الله الرحمن الرحيم، ويجب على القراء أن يأتوا بها إذا ابتدأوا القراءة من أول أي سورة من سور القرآن سوى براءة قال تعالى: «ورتل القرآن ترتيلا » وقال عز وجل «لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه» وقال عز من قائل :«الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يومنون به» وقال صلى الله عليه وسلم: اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل العشق ولحون أهل الكتابين. ذكره الترميذي في نوادر الأصول عن حذيفة . وقال علي كرم الله وجهه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرأوا القرآن كما علمتم، وأخرج البخاري عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه». أما التجويد فهو التحسين والاسم منه الجودة وهو ضد الرداءة والقبح.

وتحسين القراءة يكون بجودة الألفاظ واجتناب رداءة النطق بالحروف وذلك هو التجويد، وهو إخراج الحروف من مخارجها وإعطاء كل حرف صفاته الذاتية حسب ما تقتضيه القواعد المرسومة في الرواية والدراية من تفخيم وترقيق ومد وغنة وإدغام وغيرها.

بعض التوجيهات العملية

ينبغي الحرص في تدريس مادة القرآن على تحقيق الأغراض التالية:

❖ آداب تلاوة القرآن : الإصغاء . الإنصات . حضور القلب . الخشوع . التدبر.

❖اجتناب ما يخل بالمقصود كاللهو واللغو والضحك والعبث أثناء عملية التعلم.

❖قراءته بتوادة وترتيل لأن ذلك أعون على الفهم ؛

❖ تيسير حفظ . القرآن وفهمه.

❖ التدرج في تربية الطفل تربية قرآنية علما وعملا.

❖ التدرج في غرس العقائد الحقة والعبادات الصحيحة والأخلاق الفاضلة في نفوس المتعلمين

❖ التعرف على القرآن بصفته كتاب الله ومعجزة رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه يتضمن خلاصة التعاليم الإلاهية .

❖ تكوين موقع وجداني عقلي من القرآن باعتباره المرجع المنظم لحياة الفرد والجماعة الإسلامية داخل المجتمع البشري.

وصف القراءة:

قال ابن الجزري رحمه الله : « فليس التجويد بتمضيغ اللسان ، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفك ، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشد، ولا بتقطيع المد، ولا بتطنين الغنات، ولا بحصرمة الراءات : قراءة تنفر عنها الطباع، وتمجها القلوب والأسماع ، بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة ، التي لا مضغ فيها ولالوك ولا تعسف ولا تكلف ولا تصنع ولا تنطع ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء

مراتب تلاوة القرآن:

1. الترتيل : وهو القراءة باطمئنان وتمهل وإخراج كل حرف من مخرجه وإعطاؤه حقه، ومستحقه، ومراعاة مقادير الممدود وتمكين الحركات.

2. التحقيق : هو مثل الترتيل إلا أنه أكثر منه اطمئنانا، وينبغي أن يحتفظ فيه عن التكلف وتجاوز الحد المطلوب في الممدود والغنات وغير ذلك .

3 الحدر: هو الإسراع في القراءة ودرجها مع المحافظة على تطبيق قواعد التجويد ، ويحترز فيه من بتر حروف المد وذهاب صوت الغنة. وإنما يكون بما صحت به الرواية من إقامة أصلاب الحروف وتقويم اللفظ وبيان الحركات.

4 التدوير: هو التوسط بين مرتبتي الترتيل والحدر.

5. الزمزمة: هي قراءة حدرية بصوت منخفض فوق السر قليلا ويجب على القارئ بالزمزمة أو بغيرها ، في حالتي الجهر والسر تطبيق أحكام التجويد.

مشاكل تدريس القرآن.

بالنظر إلى الأهداف المتوخاة في تدريس مادة القرآن والمذكورة سابقا ، وكذلك المنهجية المقترحة نجد صعوبات تقف في وجه المعلم والمتعلم على السواء.

أولا : الرسم العثماني : وهو الرسم الذي كتب به المصحف الشريف ، وينسب إلى الصحابي الجليل ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه. وتتجلى صعوبة هذا الرسم في وجه المعلم والمتعلمين في مخالفته لقواعد الإملاء المعروفة الآن كالزيادة والهمز، والوصل والفصل بخلاف الإملاء العصري الذي يحاول مطابقة المنطوق بالمكتوب.

ثانيا : الخط المغربي هو الخط الذي اعتمده المغاربة ، واعتبر هذا الخط تراثا مغربيا أصيلا مميزا لبلادنا ، وهو يخالف قواعد الخط التي يتعلمها الأطفال في المدرسة مثل نقط القاف والفاء وكتابتها آخر الكلمة حيث يحرمان من النقط ، وكذا النون والياء.

اصطلاحات القراءة القرآنية

ينبغي للمدرس أن يتعرف على النطق السليم لكلمات القرآن قبل تدريسها لأن هناك كلمات تكتب في القرآن مخالفة لما هي عليه في اللغة العربية العادية وإليكم بعض الأمثلة منها:

والى: تقرأ و اللأيْ ❖ ولن يؤخر: تبدل الهمزة واوا أو تعوض بنقطة كبيرة تسمى التسهيل وتقرأ بين الهمزة والواو❖ ءلآيت . ءلأكلون. لأستغفرن : تقرأ اللام أولا قبل الهمزة في هذه الكلمات.

❖ سيئت: قراءة السين بين الضمة والكسرة = الإشمام .

❖لشاء في سورة هود عدم قراءة الألف بعد الشين.

لأ اذبحنه : عدم قراءة الألف بعد لام الف.

ويتميز القرآن الكريم بوجود علامات ينبغي أن يعرفها المعلم للتلميذ ومنها :

1 . الوقف ، وهو الوقف بسكون على آخر الكلمة زمانا يتنفس فيه ، وعلامته هي ( ).

2 . المد بأنواعه الثلاثة وسنذكرها لاحقا بالتفصيل في من هذا البحث.

3 . الإدغام في الحرفين المتماثلين أو إدخال حرف ساكن في حرف متحرك بحيث يصيران حرفا واحدا .

4 . الإقلاب: وهو قلب النون الساكنة ميما ساكنة قبل الباء مثل من بعد يقرأ ممْبعد وعلامته

5 النقل :أي نقل حركة الألف إلى الساكن قبله مثل قد أفلح . والأرض.

6 . الغنة صوت حنين يخرج من الخيشوم ، كما سياتي في مخارج الحروف ويتصف بالغنة. النون والميم المشددتان (إنّ اللّه) (ممّ رزقناهم)

7 . الإمالة: هي إمالة الصوت بين الفتحة والكسرة وعلامتها نقطة كبيرة تحت الحرف الممال : النار .

8 . اللام المرشوق يعوض لام ألف مثل لكن لا إله البلؤ.

9 . حروف لا تنقط إن تطرفت وهي الياء النون . الفاء القاف . يجمعها قولك(ينفق) فإذا وقعت آخر الكلمة لا تنقط . فى . من . الفلق وقذف.

10 وأخيرا تحسين النطق بالحروف المعجمة مثل ذ . ظ . ث . ض .

بعض صفات الحروف

الاستعلاء وهو ضد الاستفال ، ومعناه ارتفاع اللسان جهة الحنك الأعلى فيعطي صوتا مفخما ، وحروف الاستعلاء سبعة هي:

ق . ظ . خ . ص . ض . غ . ط . وكلها مفخمة ، وأقواها في التفخيم إذا كانت مفتوحة قبل الألف أمثلة لذلك:

قال . ظاهر . خاسئا . صالح . غافلا . طالوت . ضالا . تفخم قليلا إذا كانت غير واقعة قبل الألف مثل قبل يصلح ، طبع ، يظلمون، يطمع ، يخدعون، يقول ،ضرب، يغشى . إلخ.

المواضع	المخارج	الحروف
الجوف ومخرج واحد	1 مخرج مُقدر لحروف المد الثلاثة المجموعة في كلمة :	نُوحِيهَا
الحلق 3 مخارج و6 أحرف	2 أقصى الحلق : وهو مخرج لحرفين : الهمز والهاء	ء ـ هـ
	3 وسط الحلق : وهو مخرج لحرفين : العين والحاء	ع ـ ح
	4 أدنى الحلق : وهو مخرج لحرفين : الغين والخاء	غ ـ خ
اللسان 10 مخارج و18 حرفا	5 أقصى اللسان مما يلي الحلق جهة الحنك الأعلى مخرج للقاف	ق
	6 أقصى اللسان أسفل مخرج حرف القاف قليلا مخرج للكاف	ك
	7 وسط اللسان ومايحاذيه من الحنك الأعلى مخرج للشين والجيم والياء	ج ـ ش ـ ي
	8 حافة اللسان اليمنى أو اليسرى أو كلاهما من أقصاها إلى أدناها جهة الأضراس	ض
	9 رأس اللسان وأدنى إحدى حافتيه جهة الحنك الأعلى مخرج اللام	ل
	10 رأس اللسان وفوق الثنايا العليا أسفل مخرج اللام قليلا مخرج للنون	ن
	11 رأس اللسان وما فوق الثنايا العليا وهو أدخل إلى ظهر اللسان	ر
	12 رأس اللسان مما يلي ظهره وأصول الثنايا العليا نحو الحنك	ط ـ د ـ ت
	13 رأس اللسان وباطن الثنايا العُليا مع قليل من الانفراج	ص ـ س ـ ز
	14 رأس اللسان وأطراف الثنايا العُليا :	ظ ـ ذ ـ ث
الشفتان ومخرجان و4 أحرف	15 باطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا :	ف
	16 بين الشفتين مع انطباق خفيف مع الميم ، وانطباق أقوى مع الباء وانفراج مع الواو	ب م و
الخيشوم ومخرج واحد	17 وهو غار الأنف الداخلي وهو مخرج للغنة (والغنة تعرض في الميم والنون)	الغنة

الموضوعة الدينية في الخطاب الشعري / بين سنة 1757.1894

■ د. عبد السلام الطاهري

- الحلقة الأولى-

■ نؤكد أن في كل منظومة من العلاقات المتجانسة مجموعة من الارتباطات العلية، التي تساعد على استنتاج كل منها، وعلاقات تماثل تبين كيف أن كل واحد منها يحيل إلى الآخر، أو كيف تعبر كلها عن ذات النواة المركزية ، التي تسمح بظهور موضوع الخطاب، تبعا للشروط التاريخية المبلورة له، في إطار علاقة جاذبية المركز والهامش داخل الموضوعة العامة، وقيمة أي موضوع تتحدد بواسطة إلحاحيته وقدرته على التمفصل، ويأخذ معناه من خلال علاقته بغيره من الموضوعات في فضاء حميمي يسميه " جورج پوليه" بالمسافة الداخلية، " وجان ستاروبنسكي" بالعين الحية، و "عبد الكريم محسن" بالكون التخييلي، وأن قدرة الموضوع على التمفصل تكسبه أهمية نوعية، فكمايتحدد الإنسان بعلاقاته،مع الموضوعات الأخرى، ويكتسب معناه عن طريق ما يعقده مع غيره من وجوه الارتباط والقرابة، لأنها تترابط في مجموعات مرنة يهيمن عليها قانون التشاكل، والبحث عن أفضل توازن ممكن ، والموضوع أو الموضوعة التي نتوخى إثارتها، هي ما يتعلق بالموضوعة الدينية من خلال الخطاب الديني في الشعر المغربي، ،نقصد بهذا الخطاب : الأدب الإسلامي المغربي، الذي نبع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة في قوالب فنية أسرة، وأن " إسلامية" الأدب المغربي شعرا ونثرا تعزى إلى الفهم الذي علق بذهن المغاربة عن علاقة الأدب واللغة العربية بهذا الدين، الذي كان أقوى وارد على اللغة العربية وعلى آدابها، حيث تلقاه الأدب وحمله، بل وتزعم به وأصبح لباسا مطابقا له، واحتمل مسؤولية عرضه وتقديمه بالإضافة إلى أثر السياسة الدينية المخزنية، وسيادة المذهب المالكي، وهيمنة الفكر الطرقي، وظهور النزعة السلفية، هذه كلها أسباب وعوامل دفعت بالشعراء إلى استحضار الأسلوب القرآني والنبوي في القول الشعري، ومحاولة تقليده أو الصوغ على منواله، وذلك من باب الاقتداء، وإضافة سمات الإجادة والجمال في البلاغة والصياغة والأداء، ومعنى هذا أن الشعر المتأثر بهذا الدين لم يكن أدب عبادات وحسب، بل تعداه إلى آفاق أوسع وأرحب رحابة الدين نفسه.

وتأسيسا على هذا فإننا "نستطيع القول بأن الأدب الإسلامي يحرص بشدة على مضمونه الفكري النابع من قيمه السامية، ويجعل من ذلك المضمون ومن الشكل الفني نسيجا واحدا معبرا أصدق تعبير، ويعول كثيرا عل الأثر والانطباع، الذي يتسرب لدى المتلقن ويتفاعل معه، ويساهم في تشكيل مواقفه وأهوائه "(3)، وأن الناس كلما ابتعدوا عن زمن النبوة ونزول الوحي، كلما ازدادوا ارتباطا بهذا الدين وبنبيه أو برموزه، وعبروا عن هذا الارتباط بأشكال تعبيرية عديدة، إلى درجة أن المتن الشعري صار على هيئة طبقات جيولوجية، يصطف بعضها فوق بعض، ذلك أنه يضم مجموعة نصوص في دفعة واحدة، وكل طبقة رسوبية من طبقاته تنتمي إلى الحقل الديني في إطار لعبة الانفتاح والإنغلاق، على الموروث الديني والأدبي.

ويمكن أن نخلص الهدف من طرح دلالة الخطاب الديني في الشعر المغربي فيما يلي:

1. إن الأدب الإسلامي في المغرب واكب كل الفترات والظروف السياسية قوة وضعفا حضورا وغيابا ، بأشكال تعبيرية مختلفة ، فيها ما هو سلفي، وما هو طرقي.

2. إن شخصية الأديب المغربي كانت منزوية في الواقع ، خلف شخصية الفقيه الذي كان عليه أن يهتم بالعلم قبل الفن ، وأول من يطبق مبدأ الدين للنصيحة .

3. إن شرط ممارسة الأدب تفرض على الأديب أن يصير ،أولا، فقيها ثم أديبا .ثانيا، مما ضيع إنتاجه "بالدينية"، حتى يخلق تواصلا أدبيا واجتماعيا تبعا لمكانته.

إننا لا نرغب في دراسة الخطاب الديني كخطاب ، وإنما كموضوعة لها دلالتها وسياقتها، فهي " مبدأ تنظيمي محسوس ، أو دينامية داخلية، أو شيء ثابت يسمح لعالم حوله بالتشكل والامتداد ، والنقطة المهمة في هذا المبدأ تكمن في تلك القرابة السرية ، في ذلك التطابق الخفي ، والذي يراد الكشف عنه تحت أستار عديدة. ، إذ الموضوعية الدينية مركز يجسد تردد مجموعة من المفردات التي تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة ، ذات طابع ديني ، بشكل يفوق مفردات العائلات اللغوية الأخرى، بحيث يفرز بقية الموضوعات ويولدها بطريقة آلية، وهنا نتساءل ماذا نعني بالعائلة اللغوية ، والتي نقيم على أساسها تحديدنا للموضوعة؟نعني بها عموما ، أن العائلة اللغوية تستند إلى ثلاثة مبادئ : الأول هو الاشتقاق ، والثاني هو الترادف ، والثالث هو القرابة المعنوية ، فالعائلة اللغوية إذن، تجمع في داخلها المفردات ذات الجذر اللغوي الواحد، والمترادفات التي تربط مع بعضها بصلة معنوية أضعف من صلة الترادف" ، ومع ذلك فالعائلة اللغوية قد يتفاوت عدد عناصرها من مرحلة إلى أخرى ، وهي الوجه الدال للموضوعة، وعناصرها تتمظهر في تلك " الأستار المتعددة" التي يختبئ تحتها ذلك التطابق الخفي وهو " الموضوع" ، الذي يحمل علامات التكرار على امتداد العمل الأدبي ويبدو عليه الاطرادية التي تصبح مقياسا في تحديد الموضوعات وعلاقتها بالموضوعة المركزية، والتي تسعف في مقاربتها المفردات المنتمية إليها بكل ظهوراتها، وبطابعها المرجعي الديني ، والموضوعة الدينية في هذا السياق شيء فكري يستمد أهميته من الفكر الديني ومن التراث الطرقي ، لأن شعراء نهاية القرن 18 وخلال القرن 19كانوا يوظفونها لغايات وأهداف وطنية ودينية ، مما جعلها تمتلك وظيفة تأثيرية وإقناعية ، هذه الوظيفة ترتبط بدلالة الموضوعة في " كودها" السوسيوثقافي، حيث لا يمكن للوظيفة وحدها أن توجد دلالة ، وبهذا يمكن للوظيفة أن تكون ذات فائدة جمالية أو رمزية ، مادامت تستهدف " موضوعية النص " ووصف التعبير ، وأبعادالمقولات المسخرة في طرق تعبير الشاعر ، وهي بالتالي تصبح معلمة على الحضور الضمني للمعبر داخل المعبر عنه .

والموضوعة هي بمثابة نهر يلتقي عنده سواقي الأفكار ، وفي مجرى النهر تحت المياه الجارية تتحرك الأنوار الفرعية، بما يشكل تيارا قويا يجمع مالا حصر له من الخصوصيات، في إطار ديناميكية داخلية، وهذا يعني أنها تعيد العمل الإبداعي إلى العلاقات الجدلية غير المرئية، التي تتحكم في التفاعل بين العناصر المكونة لها، أو بينها وغيرها من الموضوعات ، عبر العديد من الوجوه والصور والأشكال في العمل الإبداعي (الشعري).

ونحن نعتبر الموضوعة الدينية وحدة من وحدات المعنى، وحدة فكرية أو عقلانية أو زمنية مشهود لها بخصوصيتها عند شعراء الفترة المذكورة، كما أنها مشهود لها بأنها تسعف. انطلاقا منها بنوع من التوسع الشبكي أو الخيطي أو المنطقي أو الجدلي. ببسط تصور أو موقف الشاعر المغربي من الآخر، أو من واقعه، أو من حبه الشديد للرسول (صلى الله عليه وسلم) أو من شيخ من شيوخ الطرقية.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1046
السنة 36
الجمعة 17شوال 1424 هـ
الموافق 12 دجنبر 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1046 الجمعة 17 شوال 1424 هـ .الموافق 12 دجنبر 2003م

المجتمع المغربي والقرآن

■ إعداد الأستاذ: عبد الصمد العشاب

■ المجتمع المغربي الآن، وعبر عصور تاريخه الإسلامي، كان متميزا بتعلقه المتين بدينه وبالكتاب الذي نزل على رسوله صلى الله عليه وسلم. والمتتبع لهذا الانتماء القوي لكتاب الله عند المغاربة، يجد حقائق باهرة، ومعطيات متجذرة في عمق المجتمع، نتيجة الإيمان المتوطن في النفوس، والحب اللامنتهي لكل مايمت إلى الدين الإسلامي بصلة سواء فيما يتعلق بالعادات أو العبادات.

وقد أخذ المجتمع المغربي شكله الديني النهائي منذ تأسيس أول دولة مغربية إسلامية في نهاية القرن الثاني للهجرة على يد الشريف مولاي إدريس الذي أعطى المثل من نفسه عندما حل بالمغرب فنشر تعاليم القرآن بداية من طنجة حين إقامته بها واستمرارا بمنطقة وليلي التي أسس بها دولة إسلامية كان للقبائل البربرية فضل دعمها واستمراريتها.

إن حب المغاربة للدين الإسلامي وتعلقهم به، جعل للقرآن الكريم في المجتمع منزلة تعكس ذلك الإيمان العميق الذي ترجمه أفراد الشعب إلى الحرص، ومنذ القدم، على توجيه فلذات أكبادهم إلى الكتاتيب القرآنية، أملا في أن يحفظ أولادهم القرآن كله أو جزءا منه. وترجمه العلماء إلى مدارسته وعقد حلقات لتفسيره والتأليف في فضائله. وترجمه الحكام إلى عقد جلسات للاستماع إليه في قصور الملوك وكبراء رجال الدولة، وتنظيم دروس التفسير في المناسبات، وتنظيم قراءته أحزابا كل يوم بعد صلاة المغرب وصلاة الصبح. وهذه الوظيفة الدينية أحدثت منذ عهد الموحدين بأمر من الخليفة يوسف بن عبد المومن في سائر بلاد المغرب.

وذكر المؤرخ ابن القطان أن المهدي ابن تومرت أخذ الناس بقراءة حزب القرآن إثر صلاة الصبح. وكانت الكتاتيب القرآنية تنشأ أولا بجوار المساجد في البادية والحاضرة. ولما توسع العمران صارت تقام في كل مكان. وتولى أمرها في أحيان كثيرة كبار الفقهاء وأهل الدراية بضبط الكتاب العزيز، وارتبط الكتاب بالمجتمع فكان للفقيه من الاحترام والتقدير ما هو معروف عندنا إلى وقت قريب. ونحن نأسف لغياب بعض العادات التشجيعية التي كانت ضمن نشاطات الكتاب. وذلك عندما يحفظ الصبي القرآن أو جزءا منه. فتقام احتفالات خاصة لها قوانينها المعروفة. وكان من اللازم الحفاظ عليها مهما تطور الزمان وتبدلت الظروف لأن غيابها أدى إلى تقلص قيمة مؤسسة الكتاب في المجتمع. بل أكثر من هذا فقد الكتاب احترام المجتمع بعد أن تحول عن مقصده الديني إلى مصدر للربح المادي. وكانت مهمة الكتاتيب القرآنية في القديم بل وحتى عندما تطورت إلى مدارس قرآنية عصرية هي الحرص على أن لايغادر التلاميذ المرحلة الابتدائية إلا ومعهم زاد وفير من القرآن الكريم بالإضافة إلى المواد الدراسية الأخرى. ولكن لما كانت الغلبة فيما بعد للمدارس العصرية الرسمية، انتفى شرط حفظ القرآن وإلزام التلاميذ به، واقتصر الحفظ على طلبة البوادي فوقع انحسار كبير، وكسر في المجتمع لم ينجبر. والظاهرة الناتجة عن ذلك والتي نراها اليوم هي اللجوء إلى المصاحف عند قراءة الحزب في المساجد، وقد كان المومنون من مختلف الطبقات الاجتماعية يتحلقون لقراءة الحزب استظهارا من غير اعتماد على المصحف.

هذه الظاهرة اختفت، واختفت معها أيضا ظاهرة تشجيعية أخرى كانت مناسبتها في ليلة القدر حيث يتاح للصبيان والشباب الوقوف بالمحراب والإمامة بالناس بجزء من القرآن. لكن مايفقده المجتمع المغربي من عادات يعرضه بأخرى، وذلك كما هو مشاهد الآن من تنظيم مباريات لحفظ القرآن وتجويده بمناسبة شهر رمضان. فإن هذه الظاهرة سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي أعادت كثيرا من الاعتبار لحفظ القرآن، وحفزت الأطفال والشباب على إتقان القرآن حفظا وتجويدا لنيل الجوائز السخية. وأحيت هذه الظاهرة كذلك مدارس قرآنية لها دور متميز في الأقاليم التي توجد بها، فربطت بذلك بين تقاليد الماضي، وبين مقتضيات التطور في العصر الحاضر. ونتمنى من الله أن يستمر دورها هذا ويزداد تألقا لإقامة التوازن في مجتمع يتعرض كل يوم لمواجهات شتى. فإذا لم تكن هذه الدروع الإيمانية الوقائية موجودة وقوية ومتماسكة، ضاعت منارات الاهتداء، وضعفت مناعة التصدي، وهذا أمر لن يكون، لأن استمداد المثل من التاريخ يفيدنا بوجود إضاءات لم تكن في غير المغرب. ومن تلك الإضاءات ما حدثنا به التاريخ عن وصول المصحف العثماني من قرطبة إلى مراكش في عهد الموحدين، واحتفاء الخليفة عبد المومن به، لأنه لما راه بقرطبة تعلقت نفسه به، ولكنه لم يكن يريد أن يسلب أهل قرطبة تلك الذخيرة العزيزة حتى شاؤوا أن يهدوه للخليفة بمحض اختيارهم وانتقل المصحف العثماني إلى المغرب ليتفنن المبدعون في تنميق خزانته وتزيين الآلة التي كان يحمل عليها، وقد وصف هذه الإبداعات الفنية الفيلسوف ابن طفيل وزير عبد المومن في رسالة طويلة ممتعة تنبئ عن تقديس المغاربة لكتاب الله وتفانيهم في إضفاء ابتكاراتهم الحضارية على هذا المصحف بعد وصوله إلى المغرب عام 552هـ.

يقول ابن طفيل: "... ثم إنهم لما أرادوا من المبالغة في تعظيم المصحف المذكور، شرعوا في انتخاب كسوته واختيار حليته فحشروا له الصناع المتقنين من المهندسين والصواغين والنظامين والنقاشين والمرصعين والنجارين.

ولم يبق من يوصف ببراعة وينسب إلى الحذق في صناعة إلا أحضر للعمل فيه".

ويقول المؤرخ عبد الواحد المراكشي: "... وهذا المصحف الذي ذكرناه.. يحملونه بين أيديهم أنى توجهوا على ناقة حمراء عليها من الحلي النفيس وثياب الديباج الفاخرة مايعدل أموالا طائلة. وقد جعلوا تحته بردعة من الديباج الأخضر يجعلونه عليها وعن يمينه ويساره عصوان عليهما لواءان أخضران وموضع الأسنة منهما ذهب شبه تفاحتين، وخلف الناقة بغل محلى أيضا عليه مصحف آخر يقال إنه بخط ابن تومرت، دون مصحف عثمان في الجرم محلى بفضة مموهة بالذهب يكون هذا بين يدي الخليفة منهم"

اقتصرت على هذا المثال فقط، لأنه فريد في التاريخ، لم يتكرر مثله. ومن جاء من الملوك بعد الموحدين كانوا يقدمون هذا المصحف المبارك بين أيديهم في حركات الجهاد، واستمر هذا الحال إلى عهد السلطان أبي الحسن المريني كما حدث بذلك المؤرخون. وكان السلطان عبد الملك السعدي عندما خرج لقتال البرتغاليين في معركة وادي المخازن عام986هـ 1578م ختم حفظة القرآن على أعلام الجيش مائة ختمة، وهذا دليل قوي على ما أثر في نفوس المسلمين من اقتران تلاوة القرآن بالانتصار في الحروب.

من الأسبقيات التي تحسب للمغاربة في مجال رعاية كتاب الله، أن العلماء بادروا منذ القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) إلى خوض غمار تفسير آيات القرآن وبيان ناسخه ومنسوخه، والاسهام في العلوم التي تضبط رسمه وقراءاته وتجويده، فتكونت للخزانة المغربية في هذه العلوم تآليف مهمة لاتزال تحتل الريادة في هذا الميدان.

ففي مجال التفسير نجد أن البوادر الأولى لمساهمات علماء المغرب كانت في بداية القرن الرابع بظهور تفسير للقرآن ألفه أحمد بن عمار الهواري المتوفى عام 432هـ، ويقال بأن العلامة ابن حجر أفاد منه وابن عمار هذا من أوائل القراء المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق للأخذ عن الأعلام، له كتاب الموضح في تعليل وجوه القراءات.

وفي مطلع القرن الخامس الهجري ألف أبو محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية تفسيرا جامعا سماه: الجامع المحرر الصحيح الوجيز في تفسير القرآن العزيز، وفيه يقول ابن خلدون: "... فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص وجاء ابن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول من أهل المغرب والأندلس حسن المنحى وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق".

وتوالت كتب التفسير لعلماء المغرب عبر القرون الماضية حتى إذا كان القرن الثالث عشر وطيلة القرن الرابع عشر توفر للخزانة المغربية كتب مهمة في التفسير أخرها فيما نعرف الآن من التفاسير المطبوعة كتاب التيسير في أحاديث التفسير للشيخ محمد المكي الناصري المتوفى عام 1994م، وتفسير المفصل للشيخ عبد الله كنون المتوفى عام 1989.

ومن علماء المغرب من علت رتبته في علم التفسير حتى صار يدرسه في جامع الأزهر بمصر كما هو الأمر بالنسبة لابن النقاش محمد بن علي المغربي الدكالي المتوفى عام 763هـ1362م وألف كتابا سماه السابق اللاحق التزم فيه أن لاينقل من سابقيه من المفسرين.

ويذكر المؤرخون أن أحمد المنصور الذهبي من ملوك السعديين ألف حاشية على تفسير الزمخشري اهتم بجمعها أحد قواده وهو علي بن منصور الشياظمي.

ولاننسى مساهمة المرأة المغربية في هذا المجال، ففي كتب الطبقات ذكر لسيدة تسمى صفية بنت المختار توفيت عام 1323هـ1905م وكانت عارفة بالتجويد والتفسير وانتصبت للتدريس، ولايوجد عنها مايفيد شيئا عن حياتها.

وفي مجال القراءات ورسم القرآن وتجويده كانت لعلماء المغرب تحريرات مهمة وتآليف مفيدة. فمن علماء القرن السادس الهجري نذكر ابراهيم بن أحمد بن عمارة المتوفي عام 579هـ 1183م قرأ القرآن بالسبع على ابن الوراق، وكان مشاركا في الحديث والفقه.

ومن علماء القرن العاشر محمد بن يوسف الترغي المساري المتوفى بفاس عام 1009هـ 1600م وعنه انتشرت القراءات بالمغرب. ومن علماء القرن الثاني عشر عيسى الجزيري التطواني المتوفى عام 1169هـ 1755م ويذكر عنه أنه كتب القرآن في صحيفة واحدة.

وقيض لمدينة طنجة أن يستقر بها مدة عالم القراءات علي بن عبد الغني الحصري المتوفى عام488 هـ1095م وكان له وبسبته تلاميذ.

واشتهرت من النساء في القراءات والرسم والتجويد كل من العالمة السيدة حواء بنت ابراهيم بن تيفلويت من أسرة أمراء الدولة المرابطية، والعالمة السيدة ورقاء بنت بنتان الطليطيلية ثم الفاسية المتوفاة بعد 540هـ145م كانت حافظة للقرآن بارعة في الخط. والصالحة الفقيهة آمنة بنت محمد غيلان (تعرف باللاغيلانة) المتوفاة عام1189 هـ1775م وتتلمذت لها في تطوان نساء كثيرات كن يتلقين عليها القرآن والعربية والفقه والحديث. والعالمة السيدة الغالية بنت ابراهيم السباعي المتوفاة عام 1305هـ1887م وكانت تعلم القرآن ولها باع في العربية والفقه والفرائض والفقيهة السيدة خديجة بنت أحمد بن عزوز التي تلقت الروايات عن شيخها الحسن كنبور، توفيت بفاس عام 1323هـ1905م.

وهكذا يتبين ما للمرأة المغربية من إسهام في النهضة القرآنية العلمية عبر العصور. ولم أشأ تعداد أسماء مؤلفات علمائنا في القراءات والرسم والتجويد، لأنها كثيرة.وأكتفي بالإشارة إلى اعتناء العلماء برجز في رسم القرآن لإمام القراء في وقته أبي عبد الله محمد بن محمد الشهير بالخراز المتوفى بفاس عام 718هـ. ولقب بالخراز لامتهانه الخرازة وذلك قبل أن يفتح كتابا لتعليم القرآن. ورجزه المشار إليه هو المسمى "مورد الظمآن في رسم حروف القرآن" وكان الخراز أحد الأعلام المعتمدين في فن الرسم والضبط وما إليهما من علم القراءات، ورجزه هذا (تلقاه الناس في وقته بالقبول ودرسوه واعتمدوه واستغنوا به عما سواه) ولايزال موردا ومرجعا لكل المهتمين بضبط المصحف ورسمه وذلك سند القرن السابع الهجري وقد وضعت عليه شروح كثيرة. ومثل رجز الخراز، منظومات أخرى اشتهرت عند المغاربة واهتم العلماءبوضع الشروح عليها، والحديث يطول في ذلك. وأختم هذه المداخلة بالشكر الجزيل لهيئة المجلس العلمي الإقليمي بطنجة فإنه ما أن تكون في شكله الجديد حتى بادر إلى تحريك سواكن الثقافة الإسلامية في هذا الإقليم، وأخذت المناظرات والندوات والمحاضرات تقدم في هذه القاعة تقريبا بدون انقطاع، وأخذ يختار لندواته مواضع هامة ومنها هذا الموضوع الحيوي الذي نتحدث فيه، لأنه يعيدنا إلى أصالتنا، ويفتح أعيننا على افاق تطوير أساليب المعالجة الحقيقية لموضوع المجتمع المغربي والقرآن فالشكر لهذه الهيئة العلمية الموقرة ولرئيسها العالم الفاضل، والسلام عليكم.